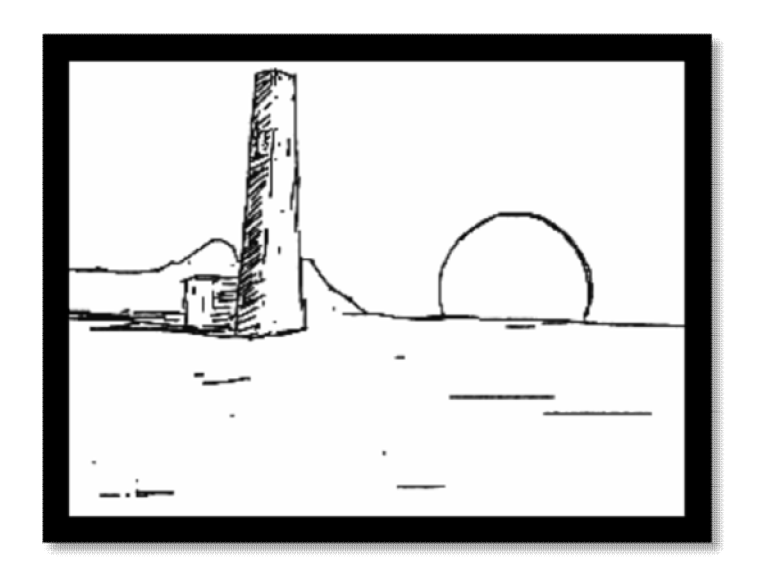


هل تصدّق هذه القصص؟

آدم أندرسون

مقدّمة

عندما جلس السّير إسحاق نيوتن إلى طاولته الخشبيّة الصّغيرة مساء ذلك اليوم الجميل، أحسّ أنّه وقت مناسب تماماً لمعاينة مجموعة قصص قصيرة ألحّ كاتبها عليه أن يقرأها ويعطيه رأيه فيها. بالطّبع، فمثل ما يفعل كلّ الشّبان المتحمّسون، لم يعط هذا الفاشلُ العالمَ فرصة، فما إن أعطاه نسخة من قصصه حتّى أطلق رجليه للرّيح واختفى عند أوّل منعطف وجده.

أوّل ما لاحظه هذا العالم الحليم هو الإسم الذي لم يكن مشهوراً في وقته -"آدم أندرسون"- لا يمكن لنا إلّا أن نتخيل ما يمكن أن يقوله الرّجل في نفسه: "هل يخجل هذا الغرّ من اسمه حتّى يستبدله باسم أدبيّ كهذا؟ أم أنّه يريد اتّقاء سخريّة الأشخاص الذين قد يصادفون عمله المضحك ويمسح شرّهم على وجه آدم أندرسون الخياليّ هذا؟"

لن نعرف رأيه أبداً. قام بقلب الغلاف لتقابله مقدّمة أقلّ ما يقال عنها أنّها "مقدّمة فلسفيّة بنكهة سرياليّة."

لم يستطع العالم اخفاء ضحكته وراح يقرع الطّاولة ويتخبّط بطريقة هستيريّة، وبعد جهد جهيد اغتنم فرصة مقدرته على الكلام ونادى خادمه "جيفرسون"، الذي جاء مسرعاً لتلبيّة أوامر سيّده. ولا عجب، لم يستطع السّيد أن يتكلّم لأنّ موجة الضّحك عاودته مرّة أخرى. بعد دقيقة أو دقيقتين زالت عنه أسوء مرحلة وبقيت الآثار فقط، وهنا قال:
"اسمع! اسمع ماذا كتب هذا الشاب: أكتب ولا أسمّي نفسي كاتباً، أنا كمن يغرف من أعماق نفسه ماءاً عجيباً، من مصدر غير مفهوم، يغرف ليروي زرعاً، ربّما التصق بذلك الزّرع شيء من ما في الماء وبدا أكثر وضوحاً. أكتب لأنّي أريد التّعبير عن إحساس لا شكل ولا لون له، لكنّه يشعرني بالسّعادة. من ذلك الإحساس وُلدت بينولوبي وانعكاس المرآة الملعون وحضارة القمر وشيطان الصّفقات. ولا أظنّ أنّ هذا الإحساس قد يزول قريباً."

نظر الخادم إلى سيّده، ثمّ انفجرا بالضّحك والولولة.

الفهرس

الصّفقة

"بقيت ثلاث ساعات فقط أيّها الأعسر."

يحملق الكائن في وجه الفتى: "وهذا هذا يجبرني على لعب دور السّمسار." يقف كأنّه يحيّ سيّدة: "سيّدي الأعسر! يسرّني أن أقدّم إليك عروضي الثلاثة." ينظر إليه الفتى شبه النّعسان فيما يواصل الكائن وهو يمشي جيئة وذهاباً: "ثلاث اختيارات لشخص في مثل حالتك. والرّفض ليس خياراً."

يستلقي على ظهره مفترشاً يديه ثمّ يقول: "1- الذّهاب إلى عالم مثالي تبقى فيه إلى الأبد. كلّ شيء فيه موجود ومعروف مسبّقاً، كلّ الأسئلة الجوهرية مجابة والمستقبل مثل الماضي."

يجلس: "2- الذّهاب إلى العدم، تبقى مستيقظاً هناك. حسنا..." يصمت ثمّ يضع إصبعه على فمه ليفكّر بوصف مناسب. يفرقع إصبعيه ثمّ يقول: "ستكون أنت الكينونة الوحيدة في العدم إلى الأبد!" يرمقه الفتى، فيما يضيف: "3- تبقى هنا. تشفى من السّرطان نهائياً. وتعيش مثل أيّ شخص آخر!"

"في مقابل ماذا؟" قال الفتى الذي نظر إلى الأسفل ثمّ أضاف: "مثل هذه العروض لن تكون مجّانيّة عادة."

قفز الكائن واقفاً وقال: "ما أنا إلاّ سمسار." ثمّ التفت إليه وأردف: "العرضان الأوّلان بالمجّان. بالنّسبة للثّالث."

"لا يمكن للمرض أن يمحى من الوجود، لذا سيتلقّاه أقرب شخص إليك وسيعيش السّويعات الثلاثة."

"رمزي!" جاءت الفتاة تجري.

الفتاة التي تريد أن تصبح امرأة

(قصّة موجهة للصّغار)

كان هناك منزل يقع في حدود قرية صغيرة مسالمة، تعيش فيه أسرة مكونة من أب وأم وفتاة في السادسة من عمرها اسمها ياسمين. كانت ياسمين مولعة بأدوات التجميل التي تستعملها أمها، وكانت تقوم كلّ مساء بارتداء أحد أزواج أحذية السهرات الخاصة بها، وترش العطر في الثوب بعد أن تملأ وجهها بما تجده من مساحيق التجميل. ثمّ تبدأ بالتبختر والمشي كأنها فتاة أرستقراطية.

حملقت الأمّ في الفتاة: "ياسمين! كفّي عن العبث، ستفسدين مساحيق تجميلي!"

ردّت الفتاة ملوحة بيدها وهي مغمضة العينين: "سيدة أمي، أنا فتاة من طبقة راقية لذا لا تقلقي فأنا أجيد استعمال..." وقبل أن تكمل كلامها صرخت الأم في غضب وبدأت تطاردها في أنحاء المنزل.

"أبي! النجدة!" استنجدت الفتاة بوالدها الذي كان يضرب بكفّ على كف في يأس. لم تجد ياسمين بدّا من الهرب إلى خارج المنزل آملة في أن تفقد أمها الرغبة بمطاردتها. وبالفعل، توقفت الأمّ عن المطاردة وتغّير غضبها إلى خوف: "ارجعي إلى هنا يا فتاة، الظلام دامس! افعل شيئا يا رجل!"

قام الزوج من مقعده بكسل وهو يتمتم: "وكأنها لا تعلم إلى أين تذهب عادة..." ثمّ تكلّم بصوت مسموع: "من المؤكد أنّها عند بيت الشجرة الصغير."

اتّجه الرجل إلى بيت الشجرة المجاورة لمنزلهم وهو ينادي بصوت عالي.

في هذه الأثناء كانت ياسمين تجري باتّجاه آخر إلى أن تعثّرت وسقطت: "لا!!" أمسكت فردة حذاء وأخذت تتفحّصها في حزن وهلع: "الحذاء! لقد كسر كعبه..." ثمّ بدأت بالبكاء.

"ما هذا الضجيج؟ بوااق" إنّها الصخرة التي تعثّرت بها! لا. في الواقع كانت مجرد علجوم عجوز. نظرت الفتاة في دهشة إلى العلجوم للحظات ثمّ بدأت بالبكاء بصوت أعلى. وضع ذلك الكائن يديه على أذنيه وقال: "تتصرفين كأنّك رأيت علجوما يتكلّم!"

بعدها تنهد، وبدأ بالعبث بلحيته وهو يقوم بتهدئتها: "اهدئي يا فتاة أنا لست بتلك البشاعة... اهدئي وأخبريني عن سبب مجيئك إلى هنا في هذا الوقت من الليل."

خفّ صوت بكاء ياسمين وبدأت تشرح له: "كنت فقط أحاول التصرف مثل امرأة، لذا استعرت حذاء أميّ وأدوات تجميلها. لكنها غضبت اليوم وطاردتني، فتعثّرت وسقطت فكسر حذاؤها. وها أنا هنا مع هذا العجوز القبيح!"

لم يشعر العلجوم بالإهانة، لكنّه اصطنع الإستياء: "لو لم تقومي بإهانتي الآن لكنت أصلحت الحذاء، ولكنت حولتك إلى شابة جميلة. لكنّك تسرّعتِ وقمتِ بوصفي بالعجوز القبيح. بوااااق." ثمّ استدار وتظاهر بالمغادرة.

توقفت ياسمين لبرهة لتدرك أنها كانت تكلم علجوما سحرياً، ثمّ أسرعت باللحاق به وهي تتوسّل المغفرة.

توقف ذلك الكائن الدميم وعلى وجهه علامات الرضا: "أفهم من هذا انك تحاولين الإعتذار يا فتاة، صحيح؟"

هزّت ياسمين رأسها بسرعة علامة على الموافقة. وضع العلجوم يده خلف ظهره، ثم شرع بالعبث بلحيته مجددا بالأخرى وقال وهو يفكرّ: "وأفهم ايضا أنّك تريدين أن تصبحي فتاة بالغة، صحيح؟"

وكما هو متوقّع، فقد هزّت رأسها مجددا وهي تضمّ يديها الصغيرتين دلالة على الموافقة.

"حسناً إذا، لكن يجب أن أقول أنّ ما تقدمين على فعله ليس بالأمر الجيّد وقد يكون له عواقبه." ياسمين كانت متحمّسة جداً لأن تصبح فتاة كالأميرة، لهذا لم تدرك نفسها إلاّ وهي تصرخ: "أسرع!"

"استعدّي إذا." بدأ العلجوم بالتلويح بعصا صغيرة وهو يقول: "تحولي من فتاة صغيرة تشبه الفطيرة، إلى فتاة شابة تشبه البدور المستديرة. بواااق."

كانت الدّهشة تحيط بياسمين مثلما تحيط بها تلك النجوم الملونة الصغيرة التي خرجت من العصا السحرية، ثمّ بدأت بالتغير تدريجيّا إلى أن أصبحت فتاة مكتملة القوام والجمال والأنوثة. وقد أصبح الحذاء المكسور جديدا.

لم تصدّق نفسها، كان الأمر جميلاً جدا ليكون حقيقة، ولتتأكد من أن ما حدث لها ليس وهما، قامت بقرص العلجوم، فصرخ من شدة الألم: "ما الذي تفعلينه يا صبية؟!"

"أنا لا أحلم..." قالت بهدوء، لكن سرعان ما بدأت بالجري باتّجاه منزلها وهي تصرخ: "هذا حقيقي... هذا حقيقي!"

حمل العلجوم الحذاء وبدأ بالصراخ: "لقد نسيتي الحذاء!" ثمّ وضعه وتنهد: "شباب هذه الأيام."

صفقت الباب ودخلت مسرعة، قالت الأم دون أن تنظر إلى القادم: "هل وجدتها يا زوجي؟" لكن الزّوجة لم تسمع أيّ رد، لهذا التفتت إلى الشخص القادم، لترى أمامها شابة تنظر إلى أنوثتها في انبهار شديد. وقبل أن تقول الزوجة شيئا دخل الزوج وهو يقول: "لم أجدها هناك، يجب أن يقوم كلانا بالبحث عنها."

"أمّي! أبي!" كانت ياسمين تنادي وهي مندهشة وفرحة: "هذه أنا، أنظروا كم كبرت وأصبحت جميلة! لقد كنت أركض ثمّ تعثرت وقابلت عجوزا صغيراً قبيحا فقام بتحويلي إلى ما أنا عليه الآن وقد أصلح الحذاء..." ثمّ توقفت لحظة لتفكّر في ما قالت: "الحذاء."

سقطت الأم أرضاً مغشيا عليها.

"زوجتي هل أنت بخير؟"

"من الواضح انّه أغمي عليها بسبب المفاجأة يا أبي، أعني... أنظر إلي!"

كان الوالد والابنة بجانب السرير الذي تنام عليه الأم، التي استفاقت فجأة ونظرت إلى زوجها: "إنه ذلك العلجوم السحري!" هزّ الزوج رأسه موافقا وهو غارق في التفكير. بعدها التفت إلى ابنته التي لم تتوقع أنّ والديها يعرفان بأمره مسبقاً ثمّ قال: "إذا فقد كانت أمنيتك أن تكوني شابة. بالتأكيد كان هذا متوقعا."

بعد أيام قامت عائلة الزوج بالذهاب إلى حفلة في أحد منازل القرية، وقد قامت ياسمين بالاختلاط ببعض الفتيات. في البداية كانت تتصرف مثل أميرة، إلى أن مرّ الطفل سامر يحمل صينية حلوى المشمش التي تحبها. قامت بالصراخ وهي مبتهجة: "سامر، لنأخذ كلّ الحلوى إلى بيت الشجرة، هيا!" ثمّ أمسكت الصينية وهربت إلى الخارج وتركت الطفل المسكين مذهولاً. بعدها توقفت في الخارج منادية: "سامر، ما الأمر؟" لكنها فطنت فجأة وأدركت أنها لم تعد فتاةً صغيرة فاحمر وجهها خجلاً. وفي صباح اليوم التالي، دخلت الأم باكراً إلى غرفتها لتقوم بإيقاظها لتساعدها في أشغال البيت: "ياسمين، استيقظي! أنت امرأة بالغة الآن، يجب أن تهتمي بشؤون المنزل!" ثمّ رفعت الغطاء عنها بقوة: "استيقظي يا فتاة!"

لكن ياسمين ضمت دميتها الدب إليها وتكورت في الفراش. إلاّ أنّ محاولة التّصرف كطفلة صغيرة لم يعد ينفع، فبعد بضع دقائق كانت تكنس وتغسل أواني البيت شبه نائمة: "هذا ليس ممتعاً." نظرت إليها والدتها بامتعاض وهي تضع يدها على خصرها: "أنت امرأة، لذا يجب أن تفكّري مثل امرأة."

فكرت ياسمين فيما قالته والدتها ثمّ سألتها: "لا تلعب النساء إذا؟ لماذا؟" تأففت الوالدة باستياء وزمجرت: "لو لم تتسرعي وتكبري بشكل غير طبيعي لاكتشفتي لماذا." ثمّ كأنها تذكّرت شيئا: "نعم، صحيح! وانسي ذلك الدب الصغير وكلّ ألعابك!"

هنا، لم تتحمّل ياسمين وبدأت في البكاء بصوت عالٍ. في هذه اللحظة سمعت صوتا من نافذة المطبخ: "لقد قلت لك أنّ لهذه الأمنية عواقب، بوااااق." بعدها قام بالقفز إلى المطبخ.

ذهلت الأم لرؤية العلجوم وفرحت الفتاة: "العجوز القبيح!" ثمّ أسرعت إليه وراحت تشتكي: "تقول أمّي أنّ اللعب لا يناسب الفتيات الكبيرات وأنا لا أريد أن أفارق ألعابي." ثمّ راحت تفكّر: "وأريد ان أنام ودبي الصغير دائما في حضني."

ثمّ قال وهو يعبث بلحيته: "هكذا إذا. أرجو أنك قد تعلمت درساً مفيداً." ثمّ التفت إلى الأم وقال: "ما رأيك يا سيّدتي، هل أرجعها إلى سابق عهدها؟" عندئذ اصطنعت الأمّ الحنق وقامت بالنفي. غضبت ياسمين، لكن والدتها ضحكت، وقد كانت علامة فهمها العلجوم الدميم فبدأ مراسم إزالة تعويذة الشباب: "عودي إلى سابق عهدك يا فتاة، كما يعود الجمل التائه إلى الفلاة."

رجعت ياسمين إلى حالتها الطبيعية وقد قررت أن تعطي كلّ فترة من حياتها حقّها.

خرائب القمر- سبب انهيار حضارة

قصة قصيرة

18-02-2018

كانت أرتيميس تهتم بحديقتها التي تمتلئ بأنواع كثيرة من النباتات، عندما فاجأها نارسيس.

- "أنتِ تهتمين كثيراً بهذه النباتات، إنها تأخذ كلّ وقتك..."

- "نارسيس، أنت لا تغار منها، صحيح؟"

تغيّر وجه الشّاب، وقد بدا واضحاً انّه يحاول جاهدا إظهار هدوء مبتذل.

- "هذه النّباتات هي الصّلة الوحيدة الجميلة المتبقية التي تربطنا بكوكبنا."

فجأة، دخلت إحدى الفتيات إلى الحديقة وهي تلهث: "سيد نارسيس."

- "ما الأمر يا نانا؟"

- "إنّه كرونوس! لقد جنّ تماماً!"

في قاعة عملاقة ومظلمة، تتوسّطها درجات وأعمدة، تشبه الأعمدة في هندسة الحضارة الإغريقية، وفوق الدّرجة العليا يوجد إطار غريب الشكل فيه مجال يشبه قطعة قماش مصنوعة من مجموعة يراع مضيئة، كان كرونوس يصرخ عندما أمسكه هيكتور، وقد كانت دايانا تبكي.

"سنتوه في النسيان أيّها الأغبياء! لن يبقى أحد منا، لقد عرفت هذا منذ شهدت دمار ثيا!"

قام هيكتور بإحكام قبضته أكثر: "اهدأ واخبرنا ما الذي يجري هنا!"

دخلت ميركوريوس إلى القاعة التي يتواجد فيها الجمع: "كرونوس، اهدأ وأخبرنا ما الذي يحصل هنا!"

أفلته هيكتور فسقط على الدرج الذي توجد فوقه البوابة.

- "قامت ديانا بالدخول إلى البوابة رغم تحذيراتي، فتبعتها حتى أقوم بإرجاعها وإلاّ ضاعت للأبد. لحسن الحظ أنّها ذهبت للأرض فقط، لكن المشكلة أنّها ذهبت إلى الأرض في المستقبل..." ثمّ بدأ في الصّراخ: "يجب تدمير البوابة! في المستقبل لا يبقى أحد منا ما عدا..."

- "صمتاً!"

دخل نارسيس بصحبة أرتيميس: "ليغادر الجميع!" ثم أشار إلى الرّجل المفجوع: "كرونوس إبق حيث أنت."

بدأ الجميع يخرجون والهمهمة تملأ القاعة. لقد كانت تنقص شيئا فشيئاً إلى أن ساد الصمت المطبق مع خروج آخر شخص.

"كرونوس، مالقصّة؟"

"ربّما من الأفضل أن تخرج أرتيميس أيضاً بما انّ الجميع قد خرجوا..."

التفت نارسيس إلى أرتميس التي بدورها قد فهمت وغادرت، ثمّ التفت مجدّدا إلى كرونوس منتظراً تفسيرا في حين كانت ديانا في الزاوية تبكي في هدوء.

***

"ميركوريوس... ميركوريوس!" أجاكس مسرعاً باتّجاه الفتاة رافعاً يديه محاولاً الإستفسار: "هل تعتقدين أنّ هذه أحد هذيانات كرونوس المعهودة؟"

نظرت ميركوريوس إليه بتفرّس، ثمّ أبعدت عينيها اللامعتين: "مما لا شكّ فيه هو انّ ديانا لم تكن تهذي." ثمّ أضافت: "ربّما مصيرنا التّشرّد في النّهاية..."

"أنتِ تخيفينني هكذا! لماذا يكون مصيرنا التّشرد؟ نحن نمثّل حضارة متقدّمة في هذا النّظام الشمسي، بل إنّنا نسود هذا النظام! ليس من العدل أن نفنى!"

"هل تعتقد يا عزيزي أنّ العدل موجود حقاً؟ ثمّ إنّ كل الحضارات تسير متّجهة إلى الفناء، بل الكون كلّه يسير بذلك الإتجاه! ولا تنسى أنّنا لسنا الحضارة الوحيدة رغم تطوّرنا، فقد انفصل عنّا أفضلنا... مارس وفينوس وجوبتر، ولا تنسى ساتورن. كلّ منهم سيشكّل حضارة في الكوكب الذي استعمره... لكن انظر إلى الجانب المشرق، سيبقى بعضنا في النّهاية!"

"ميركوريوس أنتِ تعقّدين الموضوع حتى تتحاشي الواقع..."

ابتعدت عنه ملوحة: "لطالما كنتَ مهتما بنفسك فقط يا عزيزي وهذا لن يغيّر شيئاً."

***

نارسيس يمشي في الرّواق الواسع غارقا في التّفكير، في إحدى الزّوايا كانتا نانا وأرتيميس تنتظران قدومه بلهفة ممزوجة بلوعة، وما إن رأته نانا حتّى نبّهت صديقتها.

"نارسيس!" أرتميس تجري. يشير نارسيس إلى نانا: "أريد منك أن تطلبي من سيليني لقاءنا عند أبوللو." ثمّ أشار مرة أخرى إلى أرتيميس فتبعته.

***

يسكب أبوللو من شرابه العجيب ثمّ يقوم بإفراغه في فيه، بعدها يتقدّم إلى كرسيّه الكبير ويستلقي: "فيبي، واصلي العزف وإلا ألقيتك في الوادي بلا رحمة." فيبي تجزع.

"لا داعي للهلع يا عزيزتي إنّه يمزح." نارسيس منحنياً عند الباب إحتراماً وخلفه سيلسني وأرتيميس.

يتحوّل أبوللو للجلوس بشكل مفاجئ كأن وحياً جاءه بفكرة: "سيليني، تلك الأصوات تراودني من جديد، كأنّ كيانات تستشيرني بشأن غيبها!"

أقبلت إليه سيليني وقد انتزعت الكأس من يده: "هذا لأنّك تكثر من مشروبك العجيب." ثمّ رمته من النافذة.

تحت نظراته المتعجبة التي كانت تلاحق كأسه العزيزة، قال نارسيس: "أبوللو..."

كأنّما أفاق من حلم بطريقة مفاجئة: "صحيح، لماذا أتيتم إلى هنا؟" تقدّم منه نارسيس وقال: "هذا ما كنت أريد أن أخبرك به الآن." ثمّ نظر إلى أرتيميس وسيلسني: "لونا وأرتيميس وسيليني و... وديانا، بطريقة ما... سيكنّ هنّ الوحيدات المتبقّيات من سكان القمر. وكلّ هذا سيكون بفضلك أنت!"

رسمت المفاجأة على وجوه الفتيات، فهنّ لم يعلمن بالموضوع إلا الآن فقط.

نظر إليه أبوللو كالأبله: "ما هذا الذي تقوله بحقّ سول؟"

أدار نارسيس ظهره ثمّ قال: "ما سمعته." اشرأبّت عنق أبولو كأنّه يستعد للمشاحنة: "حسناً إذا، وما علاقتي بالموضوع؟"

التفت إليه نارسيس مجدّداً لكن بغضب: "لأنّك الحاكم أيّها المغفّل وبهذا أنت المسئول عن ما سيحدث! لا أدري ماذا أصاب أورانوس حتى ينصّب غبيّاً مثلكَ حاكماً."

"يمكنك سؤاله بالتأكيد، بل يمكنك طلب المنصب منه." ثمّ أدار رأسه غاضباً: "لو لم يكن الأمر محظوراً لأعطيتك المنصب في هذه اللّحظة."

وضع نارسيس يده على جبهته ثمّ انصرف وتبعته الفتيات: "ابحث في الأمر وسأتراجع عن ظني فيك".

في الطريق خاطبته أرتيميس في قلق: "هذا ما قصده كرونوس بالنسيان؟" ثمّ توقفت مصدومة: "نارسيس!"

واصل نارسيس طريقه دون ان ينتبه لتوقفها أو مصاحبة سيليني الحزينة له فيما كان يحدّث نفسه: "لماذا لم نلاحظ هذا؟ أبوللو أغبى من أن يحكم حضارة."

أجاكس كالمجنون يدور في غرفة، لم يتخلّص بعد من الصدمة التي ساقها كرونوس: "فكّر، فكّر! لماذا سنتعرّض لهذا المستقبل؟" في الجانب المظلم كان إنديميون جالساً تائه الفكر يقوم بخلط شرابه: "ربّما كانت هذه خطّة أورانوس منذ البداية. لطالما كره القمر ونعته بابن ثيا المشوّه. ربّما كان تنصيب أبوللو المغفل حاكماً على القمر سبباً في القضاء علينا." توقّف أجاكس وهو ينظر إلى إنديميون ثمّ أطرق يفكّر بصوت عالٍ: "هل يعقل أنّ أورانوس الموقر سيفعل هذا؟ لكن كيف!؟"

"لا أدري. لقد استنتجت هذا لأنني لاحظت الغباوة التي قام بها أورانوس، والذي بدوره لم يكن غبياً، زد على ذلك انّه يكره القمر كما قلت منذ قليل." بعدها نظر إنديميون إلى شرابه كأنه ينظر إليه للمرّة الأولى: "بالتّأكيد..."

"ماذا؟ هل توصّلت إلى شيء ما؟" أجاكس متسائلاً. رفع إنديميون الكأس وقال: "هل تذكر متى بدأ إنتاج هذا الشراب العجيب؟"

"بالتّأكيد، لقد بدأ إنتاجه عندما اكتشفنا البلورات في قلب القمر عندما كنّا نقوم بالتنقيب عن الحجارة المناسبة للبناء."

نظر كلّ منهما للآخر: "البلورات!"

***

اتّجه نارسيس إلى مقر ميركوريوس ليباحثها في الموضوع، لكنّه وجد أخاها ماركوس يعبث بأجهزته ونظاراته الغريبة على عينيه: "أهلاً نارسيس، ما قصة تلك الجلبة التي تسبّب بها كرونوس؟ وهل سنفنى حقاً في المستقبل؟" تقدم نارسيس منه وجلس على الطاولة: "هذا ما يبدو."

"إذاً ما هو السبب وما هو الحل برأيك؟" رفع نارسيس أحد الأدوات وبدأ يتفحّصها: "لا أدري، وهذا ما جئت لأبحث في شأنه مع أختك... ما رأيك أنت؟" وهو يمزج قطرة من البلور السائل مع محلول آخر قال ماركوس: "من ناحية علمية، العبث بلب القمر هو التّهديد الجدّي الوحيد... ففكرة إصطدام آخر بكوكب الأرض مثلاً، مثل ما حدث مع كوكبنا ثيا غير واردة."

في هذه اللحظة دخلت ميركوريوس غاضبة.

"أهلاً أختي، ماذا قال أورانوس إذا؟" نظر نارسيس إليها: "أورانوس؟" جذبت كرسيّا ووضعت ذقنها على كفّها: "لقد قطع اتصالي معه بفضاضة." أغمض نارسيس عينيه في إحباط: " كلّنا نعلم مدى كره أورانوس للقمر، إنّها ردّة فعلٍ طبيعية."

"ليظهر على الأقل اهتمامه بشعبه الذي حكمه في السابق!" هنا قهقه ماركوس قهقهة سريعة فنظر الإثنان إليه بغرابة حين قال بسخرية: "يظهر إهتمامه؟! أورانوس؟ إن هذا ضد قوانين الطبيعة."

***

في أحد الوديان القمرية كان بعض الفتية والفتيات يلعبون تحت السّماء الأرجوانية، صرخت أفروديتي التي كانت تملك الكرة من دون البقية:"ماذا سأربح إن وصلت رميتي إلى ذلك الطائر البعيد؟" نظر بعضهم إلى السماء في استغراب: "أي طائر تقصدين؟"

"ذاك." مشيرة إلى نقطة صغيرة. قال إنديميون الذي كان يجلس ليس ببعيد منهم: "إنها ليست طائراً... إنها مركبة لونا."

"لونا؟" قال أجاكس مستغرباً ثمّ أضاف: "خلتها ستبقى مدّة أطول في الأرض."

"لماذا تبقى مدّة أطول؟ إنّها بارعة في مجالها، وبقولي بارعة فأنا أقصد سريعة." كان وجه أفروديتي مليئاً بالفخر بسبب قدرة لونا وكفائتها والحنق بسبب جهل أجاكس في آن واحد.

انفجر أجاكس غضباً بسبب الإهانة المبطنة وصرخ: "اخرسي يا فتاة واذهبي للّعب بعيداً مع أقرانك."

في هذه الأثناء، هبطت مركبة لونا فعلاً وقد نزل منها بعض العمال قبل أن تنزل هي. من بعيد جاءت ديانا تجري ثمّ احتضنتها: "لا بأس يا عزيزتي، لقد جئت فور علمي بالقصّة." تقدّم أجاكس وإنديميون وهما يبديان الإحترام: "لم نتوقّع مجيئك بهذه السرعة." عندها أجابت وهي تتقدّم للداخل: "هذا لأنّنا لم ننهي بناء معبد القمر في الأرض بعد." نظر أجاكس إلى أفروديتي ليعيرها بجهلها عن الموضوع فصرخت من بعيد: "أجاكس يا غبي، لا داعي لمثل هذه التّفاهات!"

في هذه الأثناء دخلت أرتيميس إلى مقر ميركوريوس لتعلم الجميع بشأن قدوم لونا. نظر إليها ماركوس في ابتهاج: "أستبشر خيراً بمجيئها."

"لونا؟" كانت سيليني تنظر إليها بشوق، في حين كانت لونا تتقدّم منها لتحتضنها وتقول: "هل اشتقتِ إلي مثلما اشتقت إليك؟"

"بل أكثر."

***

في المجلس الكبير المهيب، ابتلع أبوللو كلّ الشّراب العجيب الموجود في كأسه ثمّ وضعه أمامه، وبعد تفكير قام بتحريكه إلى أن وصل إلى نارسيس ثمّ قال: "إذا يا ميركوريوس، لم يصغي إليكِ أورانوس الموقر بشأن موضوع فناء حضارتنا مستقبلاً." عندها قاطعه ماركوس: "لندع أمر أورانوس الموقر

جانباً، فمن الواضح أننا نضيع وقتنا بالنقاش في شأنه. أقترح أن ننظر للأمر من ناحية واقعية." رفع أجاكس يده وقال: "مثل أنْ نقول أن حضارتنا ستفنى بسبب استغلال قلب قمرنا في إنتاج الشراب العجيب."

نظر إليه الجميع في حين اشتدّ روع أبوللو: "ما الذي تلمّحون إليه بقولكم هذا؟" حرّك نارسيس الكأس إلى أن أصبح أمام أبوللو وقال: "ربّما أخطأنا باستغلال البلورات الموجودة في القمر، مع الوقت سيتم استنفاذها كلّها إذا قمنا باستعمالها بكثرة." بعدها أضاف ماركوس: "لتبسيط الأمر أكثر، يقوم قلب القمر بإنتاج كمّية معينة كلّ سنة قمرية، إلى هنا الأمر عادي، لكن مع كثافة استغلالنا لهذه المادة فإنّها ستنضب بسرعة ولا ندري ما قد يحصل. نحن لا نعرف تماماً." أطرقت لونا تفكّر قليلاً ثمّ قالت: "ماركوس، أنت أعلم شخص فينا لذا ماذا تقترح؟"

عبث قليلاً بنظّاراته الغريبة وهو محطّ أنظار الجميع: "لتعلمي أنّ من الصعب التّخمين، لكن لبّ كلّ جرم كبير مسئول عن تشكيل حزام مغناطيسي حوله لحمايته من إشعاعات نجومه المدمّرة. والآن أنا أعتقد انّ للبلّورات علاقة ما بالحزام المغناطيسي للقمر."

وضع إنديميون يده على ذقنه وقد بدا أنّه يفكّر بصوت عالٍ: "لا أدري إن كان أحد منكم يذكر حادثة طيور البحيرة الجنوبية." نظرت إليه ميركوريوس وقالت: "تلك الطيور بدأت بالتساقط وبدا أنّ أعينها تحمل أوراما غريبة."

نظرت لونا إلى ماركوس وتساءلت:"ألم تفحصها في تلك الفترة؟" رفع ماركوس إصبعه قائلاً: "لقد فحصتها أنا والطبيب العجوز إغمونتي. لقد كان سرطانا في الشّبكية. واحزروا ماذا، السرطان كان بسبب الإشعاعات الشمسية." وضع أبوللو رأسه بين يديه كالمجنون: "طيب، إذا اختصرنا الأمر كلّه في بضع كلمات، فماذا سنقول؟" شبك نارسيس يديه وقال: "سنتعرّض للفناء، وهذا كلّه بسبب استغلالنا للبلّور الموجود في قلب القمر." ضرب أبوللو رأسه على الطاولة وقال في إحباط: "مدهش..."

شبكت لونا أصابعها ببعضها وقررت التالي: "لابد لنا أن نغلق كلّ مناجم البلّور، لأنّه التهديد الوحيد الذي يعترض مستقبلنا." نظر إليها أبوللو بيأس: "لونا..."

"وهذا قرار نهائي." ثمّ قامت واتّجهت إلى الخارج.

أبوللو صارخا: "فيبي، الشّراب!"

***

في ذلك المساء دخلت لونا إلى مقرّ ميركوريوس لتجد ماركوس مسمّراً إلى طاولته يعمل: "ألا تنام أبداً؟" نظر إليها مرحّباً: "لماذا أنام والكون مليء بالأشياء التي تنتظر مني اكتشافها؟"

"الأمر نفسه بالنّسبة للفن يا عزيزي... إذا، بالنسبة لموضوعنا، هل تستطيع ابتكار وسيلة لختم كلّ المداخل المؤدّية إلى البلّور؟"

"أستطيع صنع بعض القنابل التي تستطيع إغلاق المداخل دون أضرار جانبية. سأبدأ بصنعها الآن."

اقتربت منه وقالت: "ماركوس..." عندها التفت إليها في انتظار أن تقول شيئاً. لكنّها عدلت عن الموضوع وبعد برهة من التفكير خرجت.

"إذا..." خرج إنديميون من أحد الزّوايا المظلمة وقد فزع ماركوس بشدّة بسبب المفاجأة: "ستقتل شخصاً ما بأسلوبك هذا يوماً ما يا إنديميون."

"أنا آسف لكن الطبع يغلب التّطبّع... فقط أردتّ أن أسالك، ماذا لو كنّا مخطئين؟ ماذا لو أنّ كلّ شيء يحدث بمحض الصّدفة؟ بل هل يمكن أن نغيّر مستقبلنا حقاً؟" دون أن ينظر إليه، بدأ ماركوس في خلط التكوينات لصنع القنابل التي تريدها لونا:"إن حاولنا وتغيّر مستقبلنا، فسنربح، وإن حاولنا ولم ننجح... فإنّ الفناء بعد المحاولة سيعفينا من النّدم... أريد أن أسألك، لماذا تعيش؟" نظر إليه إنديميون الذي لم يتوقع هذا السّؤال، بعدها أضاف:"فقط تخيّل أنّنا سنهلك دون أن نعي سبب عيشنا."

في هذه اللحظة دخل أبوللو يترامى وقد أشار إلى إنديميون أن اتركنا لوحدنا. وقد خرج فعلاً وأبوللو يراقبه إلى أن اختفى، ثم نظر إلى ماركوس:"أريد منك خدمة، أريد آخر جرعة من الشّراب العجيب، أريد جرعة مركّزة جداً."

- "أبوللو، أنت تهذي بالتّأكيد!"

- "ومن منّا لا يهذي؟ أقصد، تخيّل أنّ نبأ كرونوس وديانا قد تحقق، وأنت أعلم انّ لكلّ منّا زواياه المظلمة التي يريد أن يعيشها قبل أن يموت! أمّا أنا فأريد أن أتذوّق شرابي المفضّل بكلّ مجده قبل أن أختفي من الوجود! ومن يجيد اللّعب بالمكوّنات غيرك؟"

- "أنا آسف لا يمكنني المساعدة في هذا!" عندها تعرّض أبوللو للإحباط وخرج.

كان نارسيس يحتضن أرتيميس تحت ضوء كوكب الأرض الذي يميل للون الأزرق الجميل، تشبّثت بيده ووضعت رأسها على كتفه: "لا أريد مستقبلاً بدونك."

"لديك تلك النّباتات التي بقيت من كوكبنا البائد، ستؤنسك." ابتعدت قليلاً عنه ونظرت في استغراب وقالت: "أنت تغار من تلك النّباتات حقّاً!"

"كنت أمزح يا غبية." ثمّ أمسكها وجذبها إليه وقبّلها.

***

في صباح اليوم التالي، استقلّ ماركوس، نارسيس وأجاكس المركبة التي تؤدّي إلى حقول المناجم، وما إن وصلوا هناك حتّى خرج الجميع لوضع القنابل في الأماكن المخصّصة لها. التفت ماركوس إلى نارسيس: "من دون ندم؟" فردّ نارسيس أن أي من دون ندم.

"مهلكم أيّها الأغبياء، أنتم تدمّرون أحلامي..." نزل أبوللو من المركبة شاهرا سلاحاً ضخماً باتّجاه الجميع. صرخ فيه نارسيس: "أيّها الأحمق!" لكن ماركوس تمالك نفسه حين علم انّ أبوللو قد تناول المشروب وهو مركّز للغاية:"أبولو، أنت لا تدري ماذا تفعل لذا ضع السّلاح جانباً."

عندها حملق فيه أبوللو وقال:"حقّاً؟ أنا أملك سلاحاً وسأقوم الآن بتفجير رأس أجاكس." فعلاً، قام بتفجير رأس أجاكس المسكين الذي لم يكن لديه الوقت للتّفكير في موته.

"والآن، احملا القنابل وادخلا إلى المنجم، فجّراَ الكثير من البلّورات وقوما بشحنها في المركبة... مهلاً، مهلاً! أريد منكما أن تحملا قنابل المرحوم

أجاكس أيضاً. فقط تخيّلا كمّ الشّحنة التي سنقوم بحصادها اليوم." التقط المنكوبان القنابل واتّجها إلى الدّاخل، وقد كان نارسيس يعضّ على شفتيه غيظاً.

كان السّلاح كبيراً وهو يتأرجح بين يديه:"اللّعنة يا نارسيس، لطالما أحسست بهالة بغض اتّجاهي من الجميع! هل تعلم ما هي أكبر هالة كادت تخنقني؟ هالتك!"

"ليتها خنقتك حقاً..." نارسيس متمتما.

فيما كان يترنّح قال:"هل تعلم ما سأفعله عندما أعود؟ سأتزوّج أرتيميس... أو ربّما ميركوريوس، ومن يدري قد أتزوجهما معاً."

عندها بلغ غضب نارسيس حدّه الأقصى والتفت إلى أبوللو الذي بدوره أطلق عليه من السّلاح ليرديه شبه ميت.

أسرع ماركوس إليه لينقذه لكنّ أبوللو أوقفه: "أرجوك لنكمل ما بدأناه."

نظر ماركوس إليه في حسرة وقال: "سيهلك الجميع بمن فيهم أنت. وهذا كلّه بسببك!"

تكلّم نارسيس بصعوبة وهو على حافّة الموت: "أنت... أنت هو سبب فناء حضارتنا في القمر."

"تبّاً لك، لقد أفسدت متعة اكتشاف نّهاية القصّة..." ثمّ صرخ بشكل هستيري: "ولكن لا يهم." ثمّ أطلق النار على رجلي ماركوس، فطارت النّظارات وبدأ يتخبطّ في ألم مبرح.

أمسك القنابل ووضعها جملة في قلب المنجم ثمّ أطلق النّار، عندئذ انفجر المكان وبدأ الحزام المغناطيسي للقمر بالإنحسار.

في المملكة بدأ كرونوس يجري باحثا عن ديانا، عندما وجدها حملها ورماها داخل البوابة لتصل إلى الأرض وخرج. بدأت المملكة تتّخذ طريقها نحو الدّمار. كانت ميركوريوس تحمل سلاحها وتجري وهي تبحث عن لونا لكنّها لم تجدها، فجأة كاد يسقط جزء كبير من المبنى على رأس أفروديتي، فأطلقت

ميركوريوس النار عليه من سلاحها لتفتّته، لكن جزءاً آخر باغتها فقتلها مع أفروديتي. أمّا لونا فأمسكت يدي سيليني لتقودها نحو البوابة لتنقذها. وبالفعل أوصلتها هناك، لكن حين كانت تريد الإفلات لتساعد أكبر عدد من الأشخاص، أمسكتها سيليني حتّى لا تفقدها. بدأت غرفة البوابة بالإنهيار كذلك وقد رأت أرتيميس انّ لونا لا تزال خارج البوابة فاتّجهت نحوها لتساعدها على الهرب، بعد أن دخلت لونا جذبت أرتيميس لتدخل كذلك. لكن قبل أن تطأ أقدامهنّ الأرض دمّرت البوابة وعلقن هناك باستثناء ديانا التي كانت على الأرض مسبقاً.

لقد تحقّق ما رآه كرونوس فعلاً، لقد دمّرت حضارة القمر، دمّرت تلك المملكة المتبقيّة بسبب جنون وجشع أبوللو. ربّما انتهت حكاية مملكة القمر التي سكنها أبناء كوكب ثيا. لكنّ من تبقّى منها سيشاركون في قصّة أخرى.

النّهاية.

هذيان 447

20-02-2018

مدينة باراداسيا - مستشفى الأمراض العقلية

قبل سبع سنوات

"سببت تلك المريضة مشاكل لم يتسبب بها أيّ مريض آخر حتّى الآن!"

في تلك الصّبيحة كان مكتب مدير المصحّة العقلية هادئاً. في العادة، كانت فوضى المرضى تُسمع في الأرجاء، لكنّها كانت تعطي نوعاً من الحياة الغريبة لهذا المكان المقيت.

أمسك الدّكتور روكس فنجان القهوة وهو يفكّر.

***

- "دعوني... دعوني!"
- "اهدئي يا فتاة!"
- "أمسكاها جيّداً! لا يمكنني حقنها وهي تتحرّك هكذا!"
- "أنا أبذل جهدي، لكن هذه الفتاة قويّة بشكل غريب!"

كان الدكتور فرويد ومساعديه يحاولون حقن النّزيلة الجديدة بالمهدّئات. تحت أصوات استهجان بقيّة المرضى، الذين كانوا يكرهون هذين المساعدين بالذات!

- "هذا جزاء تبوّلك في القسم أيّها القذر! عاقبيه يا أستاذة!"
- "ستعيد قارورة حليب ابني يا فريد، لنعد الصفقة قبل أن ينتهي الأمر!"
- "اسمه الدكتور أفروديتي أيّها الغبي، لن اكرّر هذا مرة أخرى!"

وكان أحدهم ينطّ هنا وهناك يصرخ بفزع "نملاتي، ستدوسون نملاتي أيّها المجانين..."

لم يستطع أحد مقاومتهما من قبل، الأمر الذي جعل من هذا الحدث شيئاً جديداً.

- "ممتاز!"
- "اللعنة، كان هذا كابوساً! لم تتصرّف هكذا منذ سنوات، لا في بيت الأيتام ولا في المستشفى!"

تمدّ الفتاة يدها مقاومة الإعياء الشّديد "حدّثني، أنت تقلقني..."

أخيراً... همدت الفتاة وانزاح الثّقل من على أكتاف الدكتور والمساعدين.

- "مـ... مهلاً..."
- "ماذا يا دكتور؟"

قام فرويد بجسّ نبضها، فجأة أصابته الصّدمة: "لـ... لقد ماتت..."

***

كانت فرقة تتكوّن من خمسة أفراد من التّدخّل السريع تتقدّم بسرعة في أحد شوارع حيّ قديم مهجور في نفس المدينة.

- "ريم، حافظي على هدوئك وسنكمل الأمر بسرعة."
- "... "
- "تبّاً، حاولي أن لا تفسدي الأمر!"

قاموا بالتّوقف عند باب أحد البيوت المهجورة في وضع الاستعداد.

ترتفع يد القائد معلنة العد التّنازلي بالإشارة: ثلاثة، اثنان، واحد.

دخل الخمسة في انتباه شديد وقاموا بالتّفرق.

- "المطبخ، آمن."
- "الحمام، آمن"

صعد ثلاثة منهم إلى الطابق العلوي، فتح أحدهم الباب وهمّ البقيّة بالدّخول. فجأة صرخ أحدهم مهدّدا: "ضع يديك خلف رأسك وقم بالانبطاح الآن! قلت الآن!"

***

في باحة ذلك البيت المهجور كانت ريم تضرب الخاطف بقساوة وهو منبطح على الأرض يتلوّى.

"تلك الفتاة..." ثمّ أعادت الكرّة حتّى صرخ.

"تلك الفتاة كانت في سنّ ابنتك!"

كان بعض زملائها يراقبون ما يحصل دون أن يتدخّلوا، إلاّ أنّ القائد نصحها قائلاً: "حاولي أن لا تحدثي أيّ رضوض أو جروح وإلاّ سنُعاقب."

"ليكن..." ثمّ ضربته على معدته حتّى ملأت صرخاته الأرجاء.

في المنزل وبالتّحديد في تلك الغرفة التي كانت الطفلة محتجزة فيها... كانت شبه مظلمة، لكنّ شمس الظّهيرة تخترقها بشعاع لطيف، يجلس أحد أعضاء الفريق. اسمه شعاع.

كانت نظراته غارقة في الفتاة التي كانت لا تزال مشغولة بصناديق الألعاب التي قدّمها لها خاطفها، وفي هذه اللحظة صعدت فيكتوريا إلى الغرفة وقامت بالجلوس إلى جانبه دون أن تنبس بأي كلمة.

بعد لحظات، اعتدل شعاع في جلسته وقال: "لطالما تمنّيت ابنة..." عندها نظرت إليه زميلته.

***

صرخ الخاطف في حين كان رمزي يقوده إلى السّيارة: "أنا لم أمسسها بسوء، أقسم بروح أمّي!" لكنّ ذلك لم يشفع له. أمسكه شعاع من كتفه وقال: "يمكنك قول هذا في المحكمة، مهمّتنا كانت القبض عليك فقط..."

عندها نظر إليه الجاني وصرخ: "حقاً؟ يمكنك قول هذا لزميلتك المخبولة التي كادت تقتلني!" في ذلك الحين التفت شعاع إلى زملائه وقال: "هل رأى أيّ شخص منكم ريم تضربه؟" عندها علت الهمهمة: "لا... من ريم هذه؟!"، "هل قال أحدكم شيئاً؟"، "ما هذا الهراء الذي أسمعه؟"

ثمّ نظر مرّة أخرى إلى المقبوض عليه: "أنا آسف لا أصدّقك."

***

في القسم الطبّي، فيكتوريا وشعاع ينتظران انتهاء الفحوصات التي تخضع الفتاة لها، خرج الطبيب واتّجه إليهما: "الفتاة بصحّة جيدة سواءاً جسديّاً أونفسيّاً، لا يبدو انّها تعي أمر اختطافها حتّى."

"أنا سعيدة بهذا!" ثمّ التفتت إلى زميلها قائلة: "هل اتّصل أيّ شخص من ذويها؟"

"لا، حتّى أنّه لم تبلغنا أيّ شكاوي بشأن أيّ اختفاء." في تلك اللّحظة قال الطّبيب: "في الواقع هناك شيء غريب... الفتاة لا تحمل أي زمرة دم معروفة." نظرت إليه فيكتوريا مستغربة: "ماذا يعني هذا؟" وضع الطّبيب يده على ذقنه مفكّراً: "لا أدري، في أغلب الأحوال قد تكون طفرة جينيّة عاديّة."

***

في ذلك المساء في الحديقة العامة، كانت فيكتوريا تجلس بمحاذاة شعاع كما جلست بقربه في تلك الغرفة: "إذا لماذا لم تتزوّج؟" نظر إليها شعاع مستغرباً. عدّلت جلستها وأضافت: "أنت تريد ابنة، فلماذا لم تتزوّج."

- "لا أدري."

اقتربت منه وهي تتفحّصه في استغراب: "أنت لا تدري!" ثمّ عدّلت في جلستها من جديد وقالت: "ما رأيك أن ننجب، أنا وأنت!" نظر إليها ثمّ أمسكها من وجهها وفحص أحد عينيها. عندها قالت: "ماذا؟!" بعدها قام بالرّجوع إلى وضعية جلوسه الأصليّة مطرقاً في التّفكير، لكن بصوت مسموع: "أيّ مادة تقومين بتعاطيها يا ترى..."

قامت من مكانها وجلست في حجره وقد أصابه الذّهول: "ماذا تفعلين؟!" دون أن تنظر إليه قالت: "أنا أحاول أن أنال إعجابك لكن قلبك مصنوع من الفولاذ."

ودون أن يحرّك ساكناً قال: "جميل، والآن قومي." بعدها قام بدفعها حتّى سقطت وهي تصرخ.

في هذه الأثناء رنّ هاتفه.

***

في مكتب القائد سانتوس.

"هذه الفتاة ليس لديها أيّ أهل بالمرّة، هل هبطت من السّماء؟" قال القائد الذي نظر إلى السقف وأضاف: "لقد سألنا الخاطف وقد أصرّ أنّه كان يراها دائما في الشّارع ولم يصادفها يوماً وهي ترافق أحداً."

"هذا غريب!" قالت فيكتوريا وهي تفكّر فيما سمعت: "لديّ اقتراح، لماذا لا يتبنّاها شعاع، أو ربّما يبقيها عنده حتّى يظهر أحد ما."

نظر إليها شعاع في استغراب: "أفكارك اليوم غبيّة جدا، في العادة أفكارك غبيّة فقط." وبعد أن سمعت هذا قامت من كرسيّها وأمسكت بكرسيّ زميلها الذي بدا أنّه تراجع عن ما قال: "حسناً، حسناً سأفكر في الموضوع..."

ولىّ القائد ظهره للشابّين وقال في نفسه: "هذه الشّابة تحصل على ما تريد دائماً."

***

لقد اقتنع شعاع بكلام فيكتوريا وقام فعلاً باصطحاب الفتاة، حيث أنّه أمسكها من يدها... فيكتوريا قامت بالمثل، وهذا جعلها تفكّر ثمّ تقول: "هل رأيت؟ نحن نشبه أسرة صغيرة

وسعيدة." بعدها توقفت وصرخت في سعادة: "شعاع! لنتزوّج! الآن عندنا ابنة متبنّاة، لا ينقصنا إلاّ العرس!" ودون أن تنظر، قالت الفتاة الصّغيرة وكأنّها تخاطب نفسها: "كلمة متبناة هذه تجرحني."

نظر إليه الإثنان في اندهاش لأنّها لم تتحدّث أبداً قبل الآن، جثت فيكتوريا أمامها معتذرة: "آسفة جداً لم أكن أقصد أن أجرحك، لقد قلت هذا بعفويّة." بعدها انحنى شعاع: "اعذرينا يا عزيزتي، فيكتوريا لم تكن تقصد أبداً." ودون أن تنظر تقدمت الفتاة لتكمل المسير فيما كانا ينظران. بعد لحظات توقفت ثمّ قالت: "بالمناسبة في أيّ اتّجاه هو بيتنا الجديد؟"

***

في بيت شعاع، كانت الفتاة منبهرة بسبب ترتيبه، رغم انّه عاديّ جدا. لذا انتهز صاحبه الفرصة ليسألها عن اسمها.

ودون أن تنظر إليه، قالت في ذهول وسعادة وهي تتقدّم لتستكشف منزلها: "اسمي هذيان أربعة أربعة سبعة." وكما هو متوقع، لم يجد الإثنان شيئاً ليقولاه بسبب غرابة الإسم، وحتّى لا يجرح مشاعرها، سألها مرّة أخرى، وقد كان السّؤال عن والديها. نظرت إليه، ثمّ وضعت إصبعها على فمها ونظرت إلى السّقف: "فلاديمير... نعم فلاديمير. لقد سمعت أحد أصدقائه يناديه بسيّد الإنتـ... الإستنسـ... آه نعم، الإستنسياخ!" قالت مهللّة.

"الإستنسياخ؟" ردّدت فيكتوريا، ثمّ نظرت إلى شعاع الذي قال: "الإستنساخ..."

ساد الصّمت المطبق للحظات، فالأمر كان غريباً جدّاً ولا يمكن استيعابه مباشرة.

***

في مكان غريبٍ يشبه المستشفيات، كان أحدهم يقف مع عجوز بدا انّه يفكّر في شيء ما، وقد قال مخاطباً ذلك الشّخص بعد لحظات: "لا يمكننا أن نتخلّص من إزعاج الحكومة إن عرفت سرّ تجاربنا الصّغيرة."

- "ما الذي تقترحه إذا يا فلاديمير؟"

- "استرجاع فأرة التجارب أمر سهل، لكن ما أخشاه هو أنّ الفتاة تمّ فحصها. وهذا خطير بالنّسبة لنا..."

- "حسنا... لكن ماذا بشأن روشييه؟"

- "روشييه كان يريد الإعتداء على الفتاة، وأنا من مناصري حكم الإعدام..."

- "بالتأكيد." بعدها قام الرّجل بالمغادرة.

***

في السّجن، وفي زنزانة الخاطف بالذّات، والتي كانت زنزانة جماعيّة، نظر أحدهم إلى النّزيل الجديد وقال: "أنت لم تعرّفنا بنفسك ولا بالجريمة التي اقترفتها."

عندها قال آخر: "من يدري، ربّما ستنجح في مسابقة *أسوء جريمة* السّنوية." عندها قام السّجين الأوّل بإبعاد الثاني محاولاً إخراسه: "ريكو أيّها الغبي، لا يجب الثّقة بالنّزلاء الجدد من الوهلة الأولى حتّى يثبتوا أوّلاً أنّهم أهل لها!" بعدها التفت إلى النّزيل ليواصل الكلام معه، لكن لم يستطع ذلك لأنّ شرطيّاً فتح باب الزّنزانة وقال: "روشييه، لديك زائر."

- "زائر؟ أيّ زائر؟"

تمّ اقتياد روشييه في الرّواق وقد كان يلتفت يميناً وشمالاً وقد كان يخاطب نفسه: "لا يبدو هذا صحيحاً..."

قام الشّرطي بفتح باب غرفة قديمة وأدخله هناك وقام بالإطلاق على رأسه.

***

في مركز الشّرطة دُقّ باب مكتب سانتوس.

"تفضّل."

دخل زوجان إلى المكتب وقد قام صاحبه بالإيماء بالجلوس. جلس الإثنان وقد بدا الرّجل متوتّراً: "سيّدي، لقد تمّ اختطاف ابنتنا منذ شهور وقد سمعنا أنّكم قد وجدتموها في مدينتكم..." ثمّ قالت المرأة التي بدت حزينة وتحاول اقتناص أيّ أمل في هذا الوجود: "لقد جئنا إلى هنا وكلّنا أمل في أن نجد وحيدتنا."

- "هذا غريب! لماذا لم تقدّما بلاغاً باختفائها من قبل؟"

- "سيّدي لقد قدّمنا بلاغاً بالفعل، لكن ليس هنا، بل في مدينتنا نحن! وقد باءت كلّ الجهود التي وضعت في سبيل إرجاعها بالفشل، إلى أن سمعنا الخبر في الأنباء."

- "أنا آسف حقاً لهذا. لقد وضعنا ابنتكم في بيت أحد عناصرنا وهي في أمان تام."

قفزت المرأة من كرسيّها في حين زرع الأمل في وجه الرّجل: "حقاً؟ أرجوك يا سيّدي فكلّنا شوق لرؤيتها، لم تهنأ لياليّ، ولم آكل الطّعام إلاّ لأعيش وأراها..."

***

في تلك الليلة في بيت شعاع، كانت فيكتوريا تلعب مع الفتاة التي أغرمت بها من فورها على ما يبدو: "سأنقذك أيّتها الأميرة وسنعيش سعداء." قفزت فيكتوريا من الأريكة وكأنّها تقوم بذبح وحش أسطوريّ بسيفها العملاق. قامت الفتاة بالتصفيق والضّحك بعد أنّ انحنت فيكتوريا تحيّة لها بعد قتل ذلك الوحش: "فيكتوريا، سنعيش الآن بسعادة بعد أن كان هذا الوحش ينغّص حياتنا!" ثمّ توقفت فجأة وهي تفكر: "لكننا فتيات فكيف سنتزوّج؟"

عندها قالت فيكتوريا وهي تضحك بإحراج: "عزيزتي نحن نلعب لعبة خياليّة فقط!"

في تلك اللحظة طرق الباب. فتوجّهت فيكتوريا إليه لتفتح. لقد كان سانتوس برفقة والديّ الفتاة: "فيكتوريا؟"

- "أهلاً سيّدي..." ثمّ نظرت إلى الشّخصين فقال مجيباً عن تساؤلها الذي يظهر في عينيها: "إنّهما والدا الفتاة، وقد قدما من مدينة أخرى. لا أريد تصوّر كمّ المعاناة التي عاناها ثلاثتهم.

دخلت المرأة التي صرخت وهي تبكي: "سيرينيتي عزيزتي، أين غبتي عنّي كلّ هذه المدة؟"

نظرت الفتاة إلى المرأة ثمّ نظرت إلى فيكتوريا وقال: "فيكتوريا؟ من هذه؟" عندها التفت إليها فيكتوريا التي جمدت لحظة في مكانها وسقطت.

- "فيكتوريا..." قال سانتوس الذي سقط بدوره. لقد أرداهم الرّجل الذي ادّعى أنّه والد الفتاة التي جمدت في مكانها ولم تقاوم المرأة التي حملتها وقالت: "استعمال سيارة الشّرطي سيكون غباءاً صرفاً، كيف سنذهب الآن؟"

- "سنمشي بالتّأكيد، نحن نقوم بنزهة مسائية مع ابنتنا، فأيّ شيء غريب في هذا؟" وقد خرجوا بعد أن أغلقوا الباب.

كانت الفتاة تبكي في صمت.

رجع شعاع إلى البيت يحمل كيسا، قام بفتح الباب... لقد فوجئ بشدّة عندما رأى جثّتي فيكتوريا وسانتوس.

"شعاع، لنتزوّج!" لقد كان ذلك صدى ذاكرته وهو ينظر إلى فيكتوريا المرحة وقد فارقت الحياة.

وهو يجري في الشّارع كالمجنون، شاهد الفتاة غير بعيدٍ عن منزله وهي تبكي في صمت حول جثّتي أولائك الأشخاص الذين ادّعوا أنّهم والديها، أسرع إليها وضمّها. بدأت تحاول بكلّ جهدها أن تبعده عنها، لكن دون فائدة. في تلك اللّحظة بلّلته بدموعها، فأحسّ فجأة بثقل جسده، وبدا كأنّه يغرق في محيط بارد ومظلم. سقط على الأرض فبدأت بالصّراخ: "شعاع... ابقَ معي..."

***

بعد سنتين. في الميتم كانت تنظر في الخواء الذي لم يكن احد يراه غيرها، وقد كنت لتظنّ انّها ميتة لو أنّها لم تكن جالسة. دخل العجوز فلاديمير وذلك الرّجل، وهو ينظر إليها في حين كان أحد العاملين في الميتم يشرح له كي أنّها لم تبدي أي إشارة للحياة.

بعد أن غادر ذلك العامل قال العجوز لمرافقه: "ربّما يجب أنّ نتخلّص منها فهي تجربة فاشلة."

- "لكن يا سيّدي، إلى الآن لم أفهم السّر الذي يكتنف التجربة. ماذا كان الدافع الذي جعلك تستنسخ هذه الفتاة؟"

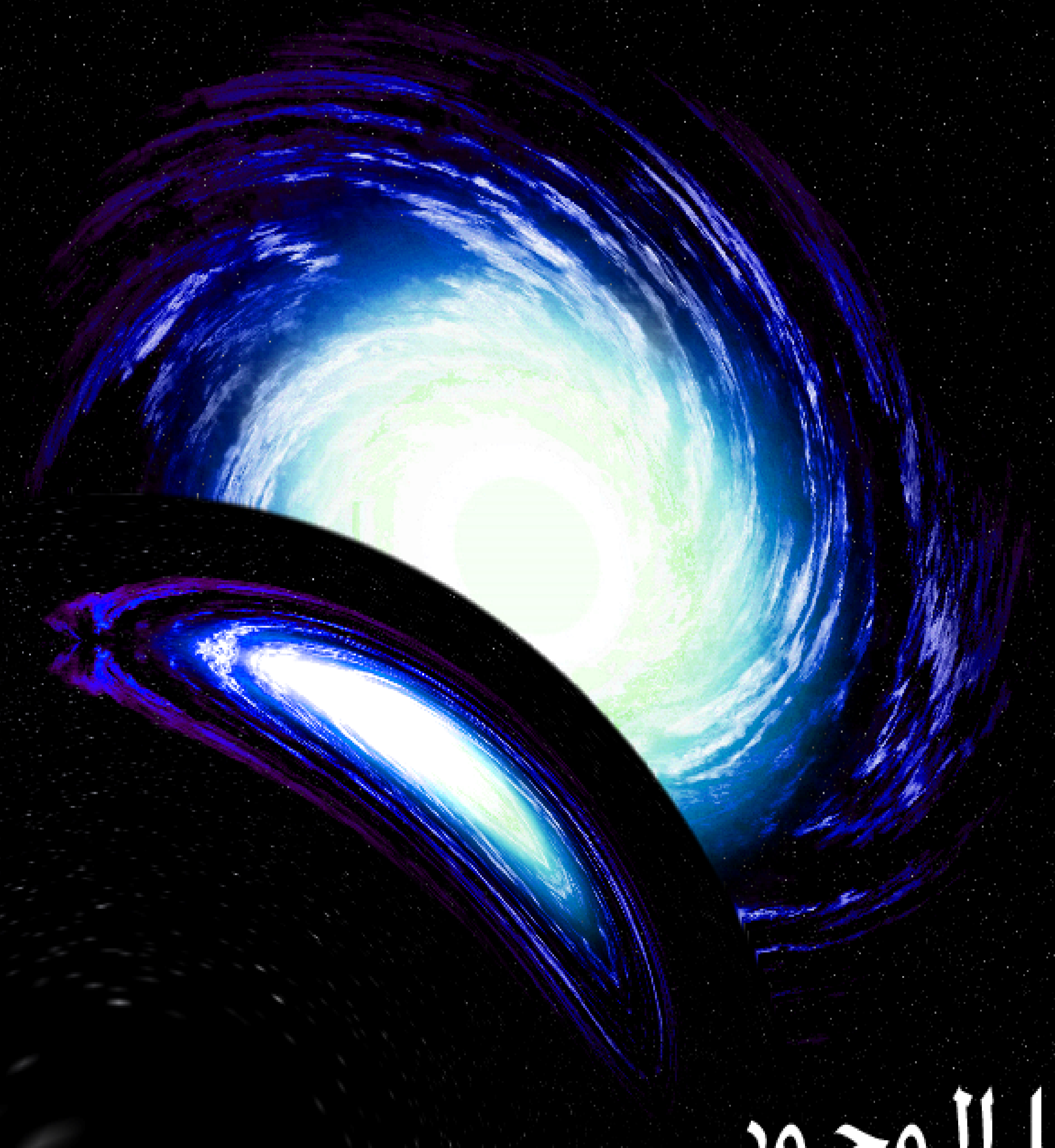
- "هل تذكر روشييه؟ لقد كان مختلاً بائساً، وهذا ما يعلمه الجميع عنه. أمّا هذه الفتاة فهي مستنسخة بالتّأكيد. في أول الأمر كان هدف تجاربنا هو اكتشاف طريقة للقضاء على الخلايا السرطانيّة. في تجاربنا اكتشفنا أنّ تلك الخلايا بما فيها الخلايا العاديّة تقوم بالدّفاع عن نفسها بطريقة قاتلة، ثمّ تقوم بالإنتحار. روشييه كان في مرحلة أولية من سرطان الجهاز التناسلي. وللحفاظ على الكتمان بأكبر قدر ممكن، قررت إجراء التجربة عليه دون ان يشعر، فوضعنا الفتاة نصب عينيه. أردت أن يبدو كلّ شيء عاديا... تلك الفتاة كانت مستنسخة من جسد حفيدتي قبل أن تموت."

- "ولماذا حفيديتك؟"

- "يال سخرية القدر... بسبب مشاكل أخلاقية..."

نظر إليه ذلك الرّجل ثمّ أخرج مسدّسه وقال: "لتغفر لنا الفتاتان." وأطلق عليه، ثمّ أطلق على نفسه.

منذ تلك الليلة كانت الفتاة تصرخ بجنون إلى أن تم زجّها في مشفى المجانين، هدأت عدّة سنوات ثمّ بدأت بالصّراخ مجدّدا إلى أن قرّر الدكتور فرويد أن يحقنها بنوع قويّ من المهدّئات على مرأى من بقيّة المرضى.



مرايا الوجود

المكتبة الكونيّة

منذ قرون خلت كانت مدينة كرونا مزدهرة والآن تنسج الأساطير حول خرائبها وكيف كانت وجهة لحجاج ما يسمى "مرايا الوجود".

- "مرايا الوجود" اسم فضفاض وغريب!

سين ليس ضليعاً بعلم الآثار لذا لا يعرف حكاية هذا الاسم، أما سنا فهي الإلهة هنا، في مكان كهذا يكون علماء الآثار آلهة وتلك المساحات القديمة من الأنقاض قصوراً زمرّديّة بالنّسبة لهم.

سين شابّ عادي، لهذا السّبب كان يعبث ببعض الأحجار، في حين كانت عالمتنا الشّابة منهمكة في نفض الخطوط والتعاريج بفرشاتها متوسّطة الحجم.

- تخيّل انّك تقف تحت عمود كان يسند سقف معبد في يوم من الأيام، والآن ذلك العمود لا يسند شيئاً، كلّ شيء استحال أنقاضاً مترامية هنا وهناك بشكل عشوائي. ذلك العمود شامخ وحده تحت سماء غير محدودة بأيّ أفق أو حتى مرسومة الملامح.

نظرت سنا إلى سين الذي نسي الأحجار في يده وهو يستمع بدهشة إلى ما تقوله، رجعت إلى وضعيّتها وواصلت نفض الخطوط بعد أن تأكّدت أنّها استرعت انتباهه.

- إن كان عندنا شيء لا نهائي ولا يملك أيّ معالم فإنّنا سنتوه فيه إلى الأبد. "مرايا الوجود" تمنع مثل هذا التّيه. تقول لفافة مدينة كرونا، والتي وجدنا بعضها فقط بالمناسبة، أنّ الوجود لا نهائي زمانا ومكانا وهذا يجبر أيّة معالم على التّضاؤل ثم الاختفاء في محيط هذه اللانهائية المظلمة. سبعة مرايا موجودة في مكان واحد فقط. هل تعلم أنّ في كلّ زاوية من هذه الأكوان توجد دهاليز تقود إلى كرونا؟

- هل تقصدين تقود إلى كرونا عبر مرايا الوجود؟

نظرت إليه ثمّ ابتسمت، لا أحد في العالم أكثر فرحاً من عالم يجد من يفهم أفكاره ويهتم بها.

- صحيح!

وقفت سنا وهي تنظر إلى الشّكل الذي نفضت عنه الغبار توّاً، أسقط سين الأحجار عندما رأى ما رأته، نظرا إلى بعضهما البعض.

- ما هذا الشّكل؟

نظرت الشّابة إلى الشّكل.

- سبعة مستطيلات، لا يمكن أن تكون هذه هي مرايا الوجود، لا يعقل أن تكون محفورة في الأرض.

- ربّما هذه علامة تميّز صرح المرايا، كأن تكون رمزاً أو لافتة ما تخبرنا أنّ وجهتنا قريبة.

لم تمرَّ لحظات حتى سحب أحد المستطيلات الشّابين، في حين بقيت الأشكال الأخرى خامدة.

كان المكان الذي سُحب إليه الاثنان هادئاً، متاهة عظيمة من الرّفوف، لا يمكنك أن ترى أي شيء يشبه النّهاية. إن كنت في بقعة ما من هذا المكان فإنّ أي مكان آخر ستسدل عليه الظّلمة، ولو نظرت إلى السّقف فسترى أشباح نوافذ مستطيلة لكنّها مقعّرة إلى ما لا نهاية، يوحي تقعّرها أنّها محفورة في قبّة ما. ما يمكنك رؤيته من خلال تلك الأشياء غريب، خطوط مقوّسة من الضوء.

استيقظت سنا وراحت تنظر حولها، لم يتعرّض حسّها الأثري لفقدان الوعي كما حصل لها هي. هذا المكان بائد. قامت من مكانها ومشاعرها مشتعلة، حنين ووحشة وأحاسيس أخرى مبهمة.

أفاق سين على منظر مذهل، جدران طويلة غير منتظمة تنتهي إلى السّواد، لكن ذلك السّواد تقطعه أضواء مقوّسة. نظر إلى مرافقته التي شدّها كلّ شيء في المكان.

- رائحة هذا المكان غريبة، أين نحن يا ترى؟

- لا أدري، لكنّ هذا المكان ضائع في الزّمن!

- ما الذي يجعلكِ تقولين هذا؟

شيء ما أصدر ضوءاً في أحد الأركان، ثمّ بدأ بالتّحرّك نحو الزائرين.

- هذا لا يصدّق! زوّار! لقد قيل لي أنّ كلّ الممرّات تعرّضت للتّدمير، حبّاً في كلّ ما تبقّى أخبراني كيف جئتما إلى هنا؟

لم يجب أحد منها هذا الكيان. لقد برقت ذكرى قديمة في رأس سين عن والده وهو يخبره أن لا يتكلّم مع الغرباء.

- مهلا، هل تعرّضت المكتبة إلى شيء ما؟

سيل كبير من الغرابة. لم يستطع دماغ سنا أن يعالجه كلّه، لكنها كانت دائماً تعلم أنّ السّبيل إلى فكّ معضلة ما هو البدء بطرح سؤال جيّد أوّلاً.

- هذه... مكتبة؟

أسلوب طرح ضعيف لهذا السّؤال، لكنه سؤال جيّد. من يلومها فلا هي ولا زميلها يعرفان ما يحصل أصلاً.

- نعم، هذه مكتبة، من البديهي الآن أنّكما هنا عن طريق الخطأ. هذه المكتبة الآن وجهة لا رجوع منها. سأفترض أنّكما لا تعرفان موقع هذه المكتبة الآن –وهذا ما يبدو عليه الحال فعلاً- لكن قبل هذا سأعرّفكما بنفسي. أنا جامع معارف وهذه مكتبتي التي عُزلت عن الوجود مثل باقي الوجود نفسه الذي عُزلت أجزاؤه عن أجزائه.

والآن، أصبح كلّ شيء عصيّاً على الإستيعاب. مازالت سنا تحاول فكّ هذه الأحجية التي أثارت سؤالاً في دماغ سين.

- نقطة لا رجوع؟ لماذا؟

يبدو أنّ الكيان يحب الأسئلة، شأنه شأن الثّرثارين.

- كما قلتُ قبلاً، المكتبة معزولة عن الوجود لأنّ الممرات المؤديّة لها تعرّضت للتّدمير، إنّها الآن لا تتواجد في أيّ مكان ولا تتواجد في أيّ زمان أيضاً. السّبيل الوحيد إلى أيّ شيء مألوف بالنسبة لنا كان ما يسمّيه الجميع بمرايا الوجود.

بالنّسبة إلى العلماء صعوبة فهم شيء ما أو غموضه يقود إلى مزاج عصبي في العادة. التّوازن مطلوب بين الألغاز ومعقوليّة إمكانيّة حلّها.

- هل نحن داخل ثقب أسود؟

بالتّأكيد! هذا منطقي، لا زمان ولا مكان وتشوّه في المكان. لكن ما يبدو منطقيّاً لا يكون صحيحاً بالضّرورة.

- لحفظ هذا الكمّ الهائل من المعرفة يتطلّب الأمر مساحة كبيرة، ولتقليل حجم المساحة المطلوب توجّب ضغط المعرفة التي توجد هنا إلى إثنا عشرة مرفوع مليون من الحجم الحقيقي. بعد الضّغط أمكننا إنشاء هذه المكتبة التي تبلغ مساحتها في كلّ اتّجاه مائتا ألف سنة ضوئيّة.

قام الكيان بالإشارة إلى جانب مظلم عشوائي من المكتبة

- ما تريانه الآن لا يمكنكما الوصول إلى نهايته، أبداً!

مائتا ألف سنة ضوئية مسافة كبيرة قليلاً حتّى بالنّسبة إلى بشري... من أخدع! هذه المسافة مستحيلة! فقط تخيّل أن المكتبة فيها محتويات غير مضغوطة؟ بالطّبع لا يمكنك أن تتخيّل! وهذا بالضّبط ما حدث لأدمغة الزّوار، عطل شامل.

نظراتهما سكرانة، لا يمكن لدماغ شخص عادي أن يؤدّي وظائفه المعتادة إن كان يحاول فهم شيء بالغ الضّخامة والتعقيد، كلّ ما يمكنك الحصول عليه هو نظرة بلهاء يتسبب فيها الدماغ كأثر لا محيد عنه لحمّى معالجة البيانات.

الكائن لا يهتم لما يحصل، من المرجّح، أو ربّما من المؤكّد انّه قد ألف تلك النّظرات البلهاء عندما كانت الممرّات سليمة وينساب الزّوار منها كالسّيول.

- بعيداً عن المسائل التّقنيّة، يمكنكما قراءة ما تريدان من المكتبة طالما أنّكما على قيد الحياة. كلّ وحدة من وحدات المعرفة موجودة في حيّز يمكنه التّرجمة لكلّ اللّغات في الأكوان المعروفة.
يمكنني أن أقترح عليكما أحسن عشرة وحدات معرفية موجودة في هذا القطاع. نسيت أن أقول أنّ المكتبة مقسّمة إلى قطاعات ليسهل جرد محتوياتها، كلّ قطاع لديه مساحة محدّدة، ثلاث دقائق ضوئية مكعبة. كلّ قطاع لديه ما لا يقلّ عن ثلاثين ترليون وحدة معرفيّة مضغوطة، هناك قطاعات لا أحد يتمكّن من الوصول إليها بسبب مشكلة بسيطة تسبب بها الضغط فوصلت الكتلة إلى حدّ حرج، تحتوي هذه القطاعات على ثمانية كوينتليون وحدة معرفية كأقلّ تقدير. على أيّ حال! دعونا نتكلّم عن أفضل وأكثر عشرة وحدات قراءة هنا.

- "متركمج اللاّنهاية"

- "8"

- "هناك حافة". كثُر قرّاء هذه الوحدة لكنني أجده غير منطقيّاً

- "مغامرات في الغشاء الكوني المجاور"

توجّهت سنا إلى أحد الرّفوف وسين يتبعها، كأنهما لم يسمعا ما قاله الكيان.

- أنتما لم تسمعا ما قلته، صحيح؟

- كيف يمكن ترجمة هذه الوحدات؟

بدا على ملامح الكيان شيء من الرّضا فهو يحب طرح الأسئلة.

- الحيّز يعرف تماماً من يقف بقربه فيقوم بتحويل محتويات الوحدات إلى لغة ذلك الكائن.

- ماذا لو كان الكائن جديداً ولغته غامضة؟

- عندها يُبقي الحيز على اللغة الأصلية.

نظر سين إلى أحد الوحدات التي وقف بقربها فتحوّلت إلى لغته.

- "نبات الزّجاج على سطح نجم نيوتروني"

ثمّ التفت إلى الكيان متسائلاً.

- كيف يمكننا البحث عن شيء محدّد هنا؟

استمرّ الكائن في التّفرّس في وجه سين إلى أن لاحظت سنا ذلك.

- البحث. لا يجرفكما الفضول فتقومان بقراءة عناوين الكتب بشكل عشوائي. بالتّأكيد لدينا خاصية بحث لكنها قديمة نوعاً ما. كما قلت منذ قليل أنّ هناك بعض المشاكل واجهناها بسبب ضغط الوحدات لذا تأخّر مسح الوحدات قليلاً. الآلة القديمة تحتوي على آخر نسخة من فهرس المكتبة. خمسة بالمائة فقط من المكتبة تمّ جردها وفهرستها لذا لا تعوّلا كثيراً عليها.

- أين هي الآلة القديمة؟

- لا يمكنكما الوصول إليها لكن يمكنكما الوصول إلى طرفيّتها في هذا القطاع. من مكانكما هذا اتّجها جنوباً حتى تصِلا إلى برج الطّرفيّة، ستعرفانه لأنّه مختلف عن الرّفوف.

سنا وسين يحاولان تجاهل كلّ هذا الكمّ من الدّهشة فلا أمل لهما بفهم أي شيء. ربّما على الأقلّ حاليّاً. لكن لم يستطيعا كتمان الفضول والنّظر إلى هذه الصّفوف من اللانهاية المعرفيّة. بالنّظر إلى حجم هذه المكتبة فإنّ ما تمّ تسجيله هنا هو رصد لأحداث كانت وستكون.

- عزيزَيّ، المكتبة تحفظ القليل فقط من آثار الحياة التي وُجدت في الكون المحلّي، والقليل من تلك الوحدات تصف الأشياء في حدود الوجود المعروف. لكن يجدر بي التّنويه إلى أنّ هذه المكتبة واحدة

فقط من أصل تسعة ترليون مكتبة أخرى. كلّ مكتبة من المكتبات تحتوي معارف خاصّة بالكون الذي يحتويها، لكن لا يمنع هذا من أن تتواجد وحدات تصف أكواناً أخرى.

نظر سين إلى سنا، ثمّ نظر إلى الكيان ليشكو ما يدور في عقله.

- إن كانت المكتبة تحتوي معارف كثيرة جداً فلابد أن تحتوي على شيء يصلح تلك الممرّات، أقصد مرايا الوجود.

يبدو أنّ الكيان جامع المعرفة كان ينتظر هذا السّؤال وقد حان وقته كما يبدو.

- هل تعلم لمَ قاموا بتسميتها مرايا؟ لأنّها نسخ طبق الأصل من الممرّات الأصلية، والممرّات الأصلية اندثرت منذ حِقب كثيرة ولا أحد يعرف من صنعها أو كيف تمّ صنعها، ثمّ دعني أخبرك شيئاً آخر، المرايا صنعت من قِبل صانع الممرّات الأصلي، ومشكلة الممرات الأصلية تنطبق على المرايا بحدّ ذاتها. يمكنني القول بكلّ حريّة أنّ المكتبة عُزلت تماما مثل بقيّة المكتباتً ونحن عالقون هنا إلى الأبد. لكن دعوني أخبركم شيئاً آخر أيّ شيء خارج المكتبة وما يحيط بها غير موجود.

نعم هذا ما كان ينقص الجميع، ألغاز أخرى.

انتهز الكيان فرصة الصّمت هذه وراح يتلو فلسفته التّي انتهلها من كلّ هذا الكمّ من المعرفة.

- الوجود موجود ببساطة ولا يحتّم على نفسه أيّ قوانين أو ضوابط. كلّ الكائنات تتطلّب بيئات وقوانين إلاّ كلّ الوجود. اللانهاية تتطلّب البساطة والإغراق في التّجريديّة الأبديّة.

بالطّبع لم يبدً أي اهتمام من طرف الشّابين، ولكم أن تتخيّلوا السّبب!

مرّت عدّة ساعات أرضيّة في المكتبة، وقد تحامل التعب والإعياء على البشريين وسقطا بكلّ جلالهما عليهما.

- سين، ذاك هو برج الطّرفيّة ربّما سنصل إن تحمّلنا قليلاً.

- لماذا نقوم بهذا؟ نحن على حافة الموت في مكان غير موجود أصلاً وإشباع فضولنا شيء لا طائل منه.

- سنموت، لكن سنعرف الكثير عن كلّ شيء، ما علينا إلاّ أن نبحث.

كان الإستلقاء كالمغمي عليه مغرياً بسبب التّعب الشّديد والجوع والعطش.

- ربّما أريد أن أفنى في هذا النسيان، واصلي من دوني فلا يحقّ لي أن أطلب إليك البقاء، ولكنني أعترف أنّني أريد هذا كآخر شيء لي.

نظرت سنا إليه، ثمّ قامت بحمله بصعوبة. لم تجدِ محاولتها شيئاً فقط سقطت سريعاً.

بعد ساعة أخرى مرّ جامع المعرفة عليهما وقد تأسّف قليلاً لمَا أصابهما، لكنّه كان مشغولاً بالتّفكير في الأمر الذي استدعته الآلة القديمة من أجله. بحسبه، لم تقم الآلة بشيء كهذا من قبل.

- يا جامع المعرفة لن تصدّق ما وجدت عندما كنت أقوم بجرد وفهرسة قطاع يعاني من مشكلة ضغط.

- ماذا وجدتِ؟

- لم تكن مشكلة الضّغط... مشكلة ضغط من الأساس على الإطلاق!

صمتت الآلة القديمة، وصمت الكيان منتظراً تكملة للحديث.

- إذاًا؟

- لقد كانت مشكلة معرفة، تلك القطاعات تشترك في شيء واحد، معرفة الصّانع كلّها موجودة هناك. الصّانع، هل تعرف ما معنى هذا؟ وانظر ماذا وجدت.

نظر الكيان إلى تقرير الجرد. كانت المعرفة حول الممرات الأصلية ونسخها كثيفة جدّا، حتى أن أنظمة الضّغط لم تتعامل معها بشكل صحيح.

- مخطط الممرات الأصلية، الحياة، الوعي. هذه المعارف لم تندثر. يجب أن يراها من لديه القدرة على تطبيقها.

نظر الكيان إلى الآلة للحظات.

- نحن الآن معزولون عن الوجود، المكتبة خارج الوجود، ولا وجود أصلا للوجود. منذ اختفاء الممرّات والمرايا فنحن لم نكن يوماً ولن نكون. لقد اندثرت معرفة هذا الكون منذ انفصلنا عنه بشكل كامل، وآخر تواصل لنا معه كانا هذان الاثنان، نحن الآن بقعة مضيئة تلاشت للأبد.

أشباح المنارة

في تلك الليلة أصابني أرق شديد، فأقنعت نفسي بمشاهدة النجوم كما أقنعت نفسي أنّني أفعل هذا دائما عندما أشعر بالملل. لم ينجح الأمر ولم أشعر بالنعاس يسري في جسدي بالرغم من أنها كانت ليلة مثالية: صيفية هادئة ومرصعة بالنجوم وتغريك بالحلم.

التّسكع في هذا المكان لن يجدي ولو بعد ألف سنة. رغم هذا فقد واصلت التسكّع، فلم أكن أتمتع برفاهية الإختيار. لا أتذكّر شيئاً من ذلك النّقاش السّلمي الذي أجريته مع نفسي عندما قاطعتني رائحة لطيفة. رحت أجول ببصري بين الحشائش النّديّة والصّخور لعلّني أجد مصدرها، ولا أخفي أبداً امتناني لضوء القمر، الذي لولاه لما لمحت تلك الزّهرة البنفسجيّة.

لم أكن لأفوّت الفرصة، فقد جلست بقربها لأتمتّع بعبيرها. عندما تغمض عينيك وتسلّم نفسك إلى أنفك وخيالك فإنّك ستصنع عالماً لن يوجد أبداً. بعد لحظات أحسست أنّ الرّائحة بدأت تصبح أقوى، فتحت عينيّ فإذا بها زهرة أخرى، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، فقد رأيت أنّ مجموعة كبيرة من الزّهور تشكّل طريقاً.

لم أكن بحاجة إلى أن أتتبّع الطّريق لأعرف أين تقود، لقد انتهت الطّريق إلى المنارة القديمة التّي علتِ الصّخور، فلا يوجد أيّ مكان آخر يجعلني أشكّك فيما وصلت إليه.

تسلّقت الصّخور القاتمة وأنا أعاني صداعاً بسبب الأرق وقد قابلتني عند قمّة الصّخور آخر زهرة. كانت بعض الغمامات الصّيفيّة تطفوا على مهل فتغطّي القمر. عندما وصلت إلى المنارة وهممت بالدّخول لاحظت درَجاً حجريّاً بُنيَ لهذا الغرض بالذّات، لم أدرِ إن كان من صمّمه غبيّاً ليبنيه هناك حتى لا يلاحظه أحد، أم أنّني أنا الغبي الذي لم يفكّر في احتماليّة وجوده. لم أطِل التّفكير في الموضوع فقد وصلت إلى المنارة على أيّ حال، وما علي إلاّ أن أدخلها الآن.

دفعت الباب بهدوء فإذا بالظّلمة تفتك بالمكان، ولرأفة الغمامات بي فقد ابتعَدت عن القمر ليكسر ظلمة المنارة، وهذا بأن يرسل شعاعاً من النافذة الصّغيرة في الأعلى، والتي لن أصل إليها حتى لو استعملت كرسيّاً.

التفت حولي مستكشفاً، فخلصْتُ إلى أنّ جدار المنارة الدّائري الحجري يوحي ببرودة المكان، لكنّني كنت مخطئاً فقط احتفظت تلك الأحجار المستطيلة بحرارة النّهار لتنفقها في اللّيل.

تقدّمت قليلاً بعد أن شعرت أنّني اكتفيت من هذا المكان لأصعد الدّرج. تسمّرت في مكاني فزعاً! فقد رأيت شبحاً يجلس في هدوء على كرسيّ هزّاز يتأرجح في صمت. لم أشعر بغباء كبير وأنا أتقدّم نحوه، فشيء ما يخبرني أنّني سأكون بخير إن اقتربت منه. لقد كان شيخاً كبيراً تبدو عليه الطمأنينة. تمعّنت في وجهه أكثر، وقد اتّضح انّه يغطّ في نوم عميق يشبه نوم الموتى.

لم أرد أن أجازف أكثر لذا أسرعت الخطى نحو الدّرج اللّولبي. وجدت باباً آخر فهممت بدفعه، لكنّني تمهّلت بعد أن سمعت همهمةً وأنيناً، لقد أصابتني الدّهشة، فلم أتخيّل أبداً أن أجد حياةً هنا.

فكّرت للحظات، ربّما لا يجب أن أكون هنا، فمن يدري أيّ شيء يُدبّر هنا وأي كيان يحيكه.

لكنّني ولسوء طالعي أتميّز بفضول شديد قد يودي بي يوما إن لم يودي بي هذه اللّيلة. أقنعت نفسي مرّة أخرى أنّ هذه الهمهمة همهمة عشّاق، ولا ألطف من العشّاق. دفعت الباب قليلاً وإذا بي أرى ما أرى!

فتاة شقراء بلغت توّا مبلغ النّساء ترقد على ظهرها وتفترش الأرضيّة الخشبيّة و صدرها الصّغير عار وهي مغمضة العينين، كأنّها بإغماض عينيها ستمنع هروب لحظات لذيذة تعيشها. وبجانبها شابّ جالس يراقبها بهدوء كما يراقب والد أولاده الذين انغمسوا في ألعابهم.

ويا ويلي! ما جدوى ذلك المسدّس الذي بجانبه؟ وبالرّغم من الرعب الذي تملّكني فجأة فلم يفُتْني أن ألحظ ملابسهما الغريبة، فقد كانت قديمة الطّراز، هل ضجرا وهربا من مسرحية كتبها شكسبير يا ترى؟ ومما زاد من غرابة الأمر وتناقضه هو عدم وجود أي علامة على استعمال القوّة أو إرغام على فعل معيّن.

رأتني الفتاة فقامت في خجل تغطّي صدرها وقد جلست على فخذ الشّاب الذي لم تتغيّر ملامحه ولا أظهر ردّة فعل، كأنّه كان يتوقّع مجيئي.

لم أشعر كأنّني ضيف غير مرغوب فيه رغم اقتحامي لخصوصيتهما.

فجأة نظر إليّ الشّاب ثمّ أشار إلى الأرض وابتسم، كأنّه يدعوني للجلوس وقد بدت تقاسيم وجهه صارخة وتتوسل إلي أن أجلس.

بعد كلّ هذه المسافة وهذا الفضول وذاك المسدّس ووجه الشّقراء الفاتنة، لم أتردّد لحظة في تلبية الطّلب.

تكوّرت الفتاة على الشّاب وتشبّثت به لكنّ عينيها الخجلتين لم تكفّا عن التّحديق بي، رغم أنّهما لم تلتقيا بعينيّ.

مرّت الدّقائق والهدوء يغمر المكان، في غضون ذلك الوقت كانت الفتاة تعبث بخيط يتدلّى من قميص الشّاب، وقد بدأ النّعاس يغمرها شيئاً فشيئاً. ضمّها إليه الشّابّ كأنّه يحاول أن يحميها من شيء ما، شيء كبير ولا قدرة له على حمايتها منه.

ومرّت دقائق أخرى فتوقفت عن العبث بالخيط المتدلّي، وقد بدا أنّها قد غرقت في نوم هادئ، يشبه تماماً نوم العجوز الذي وجدته بادئ الأمر.

نزلت دمعة حارةٌ من وجه الشّاب، أمسك المسدّس بيد مرتعشة ورفعه ببطء إلى رأسه، وبابتسامة مخنوقة ومتأرجحة.

خرجت من المنارة ولم أحدّث نفسي كثيراً بشأن ما حدث، أو بشأن العجوز الذي اختفى واختفى كرسيّه معه. وأريد أن أقول، اختفت الزّهور كذلك وهدأ صداعي ثمّ بدأت بالتّثاؤب.

أميرة الدّمى

يقال أنّ هذه الآثار آثار مملكة بائدة، سمّيت باسم مملكة النّور تيمّناً باسم محارب، وهذه أسطورتها.

أقسم محارب الضوء على التـخلّص من أميرة الدّمى بعدما بطل سحرها عليه ولم يعد يؤثّر فيه.

سمّيت تلك الفتاة بهذا الإسم لأنّها تتحكّم في كلّ شخص في المملكة مستعملة سحرها الأسود الغريب. إن كنت أحد سكّان مملكتها، فإنّ شعوذتها ستطالك لا محالة، وستكون مجرّد جسم بلا إرادة أو تفكير، ستكون لعبة بين يديها، لديك حياة وقدر قامت هي برسمهم لك.

لم يكن الوصول إليها سهلاً، لأنها تنتبه عندما يفلت أحدهم من تأثير سحرها، وسيكون مميّزاً عن الجميع. فكّر محارب الضّوء في طريقة ما، ورأى أنّ أنسب حلّ للمشكلة هو أن تحتاجه الأميرة. ولكي تحتاجه، عليه خلق مشكلة ما.

كلّ المحاربين لديهم طريقة تواصل مميّزة، فهنا مثلاً إن أردّت أن يغزوا بعض من محاربيك المملكة، فعليك قتل الحراس ثمّ إضرام النّار في البوابة. لم تعلم الأميرة بهذا لأنها ليست محاربة، والحروب فنون لا يعرف أسرارها إلاّ المحاربون!

قتل الحرّاس وأُضرمت النّيران. دخل ثلاثة من المحاربين الأسطوريّين المملكة، هؤلاء المحاربين هم: محارب النار ومحارب الريح ومحارب الجماجم. عاثوا في المملكة فساداً وقد حاولوا أن لا يقتلوا أحداً من النّاس.

لم يكن هناك حلّ آخر، على الأميرة أن تستدعي محارب الضّوء لحمايتها. وقد كانت هذه خطّته منذ البداية. دخل إلى مقرّها الرّئيسي عندما خرج الجميع للدّفاع عن المملكة. لم يضيّع الفرصة فقد غرز سيفه في قلبها، وفي تلك اللحظة كسرت قلادتها السوداء وحدها.

وقف المحارب مذهولاً! كانت تلك القلادة تحمل رمزّ ساحر يكنّى بساحر الجبل.

أدرك المحارب بأنّ الأميرة كانت مسحورة وكانت تقاوم حتّى لا يسيطر عليها بشكل كامل، وخطّطت لكلّ شيء لتنتهي عذابها.

أرض الرّياح

قيل قديماً أنّ السّماء ستسقط على مدينة الرّياح وستمحوها عن الوجود، وهذا بعد أن تتوقف الرّياح عن الهدير الصّاخب.

واضحٌ جدّاً سبب التسمية. جاء أقوام ورحل آخرون، لكنّ الهدير ظلّ كما هو، حتّى عندما لم يبقى أيّ أحدّ إلاّ رجلاً واحداً. عندما تستلقي وسط أحد البيوت الخربة وتستمع لذلك الهدير الّذي لا ينام فإنّك ستشعر بشيء غريب! تحسّ كأنّك وحيد وأنّ العالم منشغل عنك، وأنّ البشر لديهم ما يفرحهم وبذلك قد نسوك ونسوا انّك محبوس في زنزانة مصنوعة من الرّياح.

أو على الأقل هذا ما أحسّ به ذلك الرّجل عندما رأى أنّ ذلك البيت لا يقيه من الريّح الباردة ولا التّراب المتطاير ولا من السّماء الرّماديّة الكئيبة. ربّما أسوء شيء قد تمرّ به هو ذكرياتك السّعيدة! لا أدري لماذا لكنّ الريح العاصفة توحي بالوَحدة والحزن.
أصدقاؤك كانوا ولو يعودوا، وفتاتك الجميلة أخذها شبح الموت منذ سنوات، لا شيء تعيش من أجله، ولا تشعر كأنّ الريّح ستتوقف.

منّا من يجد لهذا العذاب معنى، ومنه يستمدّ طاقة الحياة، حياة كئيبة بلا ألوان، فقط لون رماديّ يميل أحياناً للسّواد ولا يرجع كما كان قريباً. ربّما هو الأمل، وربّما هو أملنا بوجود أمل.

ضاق صديقنا من كثرة التّراب المتطاير، فانقلب بجسمه المرتعد إلى الجهة الأخرى. عندما وضع الجانب الآخر من وجهه على الوسادة شعر بالبرد، وقد حاول جاهداً أن يخرج وجه فتاته من أعماق ذاكرته، محاولا ً بهذا أن ينسى لسعة برد الوسادة.

لا نستطيع فعلاً أن نفهم سبب إصراره على تعذيب نفسه، هل يريد أن يعاني لكي يشتدّ تركيزه على ذكرياته القديمة؟ هل يريد أن ينسى كلّ ما حوله من تفاصيل العالم لكي ينفرد بصورة الفتاة؟ ربّما... لكن ما الفائدة؟ كلّنا نعيش لأجل شيء ما. عندما خرجنا إلى هذا العالم كانت لدينا كلّ الخيارات، ومن ضمنها نجد ما يجسّد معنى معيّناً نعيش من أجله، وعندما نجده، فإنّ أيّ شيء آخر لا يهم فعلاً، حتّى لو غطّتنا سماءٌ لا تتوقف رياحها عن النّحيب.

ثلج

رغم برودة الجوّ الكبيرة وغزارة الثلج المتهاطل، فإنّ المقهى الذي يبعد عنّي بضعة أمتار يبعث بدفئه ويوقد في نفسي الشّعور بالحياة.

ما إن وصلت إلى بابه المتأرجح حتّى أسرعت بالدّخول! توجّهت فوراً إلى مدفأته التي تبعث لونا برتقاليّا صافيا. صوت الموسيقى الخافتة وحديث النّاس يشعرانك بالألفة والطمأنينة. ربّما جميعهم هنا لهذا السّبب. بعد عدّة دقائق توجّهت إلى طاولة شاغرة تقع قرب نافذة، وقمت بإخراج كتابي من حقيبتي الجلديّة ورحت أواصل القراءة. يتحدّث الكتاب عن أسطورة أميرة الثّلج وكيف أنّها ستغرق العالم في الظلام والبرد.

"لو أنّني كنت أصغر بثلاثين سنة فقط لصدّقت ما يقوله الكتاب!"

نظرت حولي باحثاً عن من قال هذا. لقد كان كهلاً ممسكاً بغليونٍ وشابكاً يديه وأضاف دون أن ينظر إليّ: "هذه العاصفة لا تتوقف أبداً."

لم أكن أجهل هذا الأمر، بل كنت أعرف هذا حقّ المعرفة فمنذ وعيت على نفسي والعاصفة تزأر في كل زوايا المعمورة. قلت له مازحاً: "أحياناً أكاد أجزم أنّ أسطورة أميرة الثّلج حقيقية!" نظر إليّ نظرة خاطفة مغمغماً: "ربّما..."

صمتنا دقيقة أو دقيقتين ثمّ قال: "ماذا لو كانت حقيقية؟"

"وما الدّليل على ذلك؟" رميت بالسؤال إليه. فأجاب بجديّة: "ماذا لو كنت أنا أميرة الثلج؟" نظرت إليه بطرف عيني وقلت ساخراً: "إذاً فأنت أبشع أميرة رأيتها في حياتي!"

عاد الرّجل إلى غليونه وعدت أنا إلى كتابي، وقد وصلت إلى تلك الصفحة التي تملأني بإحساس غريب:

امتلأت الأرض بنواح الرّياح، كانت تبكي
كلّ من توقّف بهم الزّمن تحت رداء الأميرة
الأبيض. أمسكت خنجرها الجليدي وغرسته
في قلبها. جنّ جنون الرّياح وراحت تنوح
أكثر فأكثر...

لم أفهم ما يحصل هنا.

تأرجح الباب ودخل ثلاثة أشخاص، وقد قاموا بالتّوجه والجلوس معنا، رجل وامرأة وشابة صغيرة. ما أذهلني في تلك الشّابة عينيها الزرقاوتين بشدّة. وحتّى أتجنّب الإحراج لأنني كنت أنظر إليها كالمغفّل، قمت بالرّجوع إلى كتابي لأكمل القصّة:

تحوّلت عينا الأميرة الزرقاوتين إلى ينابيع
كريستالية تذيب الثلوج في كلّ مكان وتحيي
الطبيعة الخضراء في كلّ الأرجاء. هدأت
الرياح وتحوّلت إلى نسيم صيفي يهب على
الأنهار والأشجار.

ما إن رفعت عينيّ عن الكتاب حتى وجدت أنّ الفتاة تنظر إليّ. بعد لحظات قال الرّجل الذي جاء معهما دون أن يرفع عينيه عن لوحته: "سأسمّيها لوحة لقاء ما قبل الصّيف!"

داهمني الفضول بشدّة وأردت أن أعرف ماذا في اللّوحة فطلبت منه أن أراها. لقد كانت أميرة الثّلج مستلقية على فراشها الأخير، وقد كانت تشبه تلك الفتاة تماماً. طلبت من الكهل أن ينظر إليها وأشرت إليه كيف أنّها ليست قبيحة.

"أميرة الثلج ليست قبيحة، بل هي جميلة شكلاً وقلباً!" عبّر الرجل صاحب اللّوحة.

بدت علامات الشّك واضحة على وجهي: "أوافق على أنّها جميلة شكلاً، لكن قلباً؟ لا أرى أي إشارة تدلّ على هذا!"

نظرت إليّ المرأة وقالت في ثقة: "أميرة الثّلج تهب الحياة بصورة دوريّة! وإعطاء الحياة لا يتمّ إلاّ عبر قلب جميل."

أمسكت كتابي ولوحت به واثقاً كما يفعل صاحب الحجّة العليم: "تلك الأميرة تحيل الأرض إلى قبر بارد تسوده الرّياح عبر الأزمان! تقتل كلّ إنسان وحيوان..." وقبل أن أكمل قاطعتني تلك المرأة: "لكنّها تعيد الحياة بعد أن تضحّي بنفسها صحيح؟ ألا يعدّ هذا الفعل نبيلاً؟"

حجّتها بدت غبيّة. حاولت أن لا أظهر ردّة فعل تدل على ما في نفسي فأسرعت بالرّد: "السؤال الأهم الآن، لماذا تقوم بقتل الحياة من الأساس؟"

أجابني صاحب اللّوحة وهو منهمك في وضع التّفاصيل عليها: "الأمر أشبه بـ..." ثمّ نظر إلينا واحداً تلو الآخر كأنّه يخبرنا بشيء بديهي: "الأمر أشبه بزراعة الأرض، أنت تقوم بتقليبها كلّ عام، وإن لم تفعل هذا فإن الأرض لن تنبت أيّ شيء!"

"لا أعتقد أنّ هذا التّشبيه صائب. تقليب الأرض لا يشبه قتل الأرواح." قلت. انهمك مجدّداً في وضع التّفاصيل عندما نطقت الفتاة أخيراً: "ربّما هذه الأشياء تحدث فقط، بدون أي سبب."

رفعت رأسي فوجدت صاحب المقهى يلكزني: "أنت نائم عند المدفأة منذ ساعة!"

الألحان السّحريّة



منذ أمد بعيد تُسمع ألحان قيثارة في جزيرة لا تشرق فيها الشّمس، يقال أنّ تلك الألحان هي صدى ألحان قيثارة أبوللو الذّهبية. في كلّ ليلة تُشقّ السّماء الزّرقاء الدّاكنة لتكشف عن ما فيها من أماني وأحلام.

يشرق القمر الأبيض معلناً حلول المساء، تخرج أميرة الجزيرة وهي تحمل منظارها الكريستالي وتشاهد بحر الأماني في السّماء، آملة أن تصادف أمنية رأتها منذ زمن بعيد، تلك الأمنية كانت تشعّ أكثر من القمر. لم يبخلها القمر يوماً من خيوطه الفضّية التي كانت تعانق شعرها الحريري وهي نائمة. لقد كان صديقها الأزلي، حتّى أنّه كان يخفت نوره عندما تشّق الألحان السّماء، لكي يتسنّى لها رؤية الأحلام البرّاقة.

في معظم الأحيان تكون الأميرة حزينة، فتلك الأماني والأحلام بسيطة في الغالب، لقد أرادت أن يعرف الجميع أنّ ما يجعل الحياة جميلة هي الأحلام الكبيرة! كلّ تلك النّجوم المرتعشة في السّماء والتي نراها في كلّ مساء صيفي، موجودة لأن أحداً ما عانق أحلامه بشدّة حتّى لا تختفي. تقول الأميرة أنّ الواقع كئيب وإذا لم ترفع رأسك وترى النّجوم وتُسحر بها، فإن مكانك المقدّر بينها سيبقى فارغاً، ولهذا السبب نرى القطع الداكنة من السّماء.

سرعان ما تختفي الموسيقى وتلتئم السّماء لتعود الأميرة الحزينة إلى سريرها خائبة، فهي لم تجد ذلك الحلم الضّائع. يرجع نور القمر وهاجاً مجدّداً وينساب من النّافذة الكبيرة خيوطاً فضّية، ويعانقها. ترجع السّماء زرقاء داكنة كما كانت، بنجومها القديمة الرّاضية.

يتساءل القمر في أعماقه، ماذا لو وجدت الأميرة نورها الضّائع؟ بدون أيّ شكّ، يريد أن يراها سعيدة وهي ترقد تحت نور نجمة جديدة، لكنّه سيكون حزيناً بسبب هذا، رغم ذلك، سيواصل عزف الألحان إلى أن تجد الأميرة نجمتها المنشودة في بحر الأمنيات.

ليلة صيفيّة طويلة

دائماً ما يتذمّر قاطنو هذه البناية القديمة من صاحب الشّقة رقم سبعة، فهُم يزعمون أنّهم يسمعون نقاشات بصوت عال في أوقات غير مناسبة وهذا يسبّب الإزعاج لهم. تكون هذه النّقاشات في ذروتها في ليالي الصّيف الخانقة، ولأكون أكثر تحديداً، فإنّها تحدث عندما ينقطع الماء.

"ليلي"، الطفلة الصغيرة والتي تسكن في الشّقة رقم ستّة والمعروفة بدميتها الممزّقة التي لا تفارقها أبداً، تقول أنّ هذه النّقاشات -والتي تكون جدالاً عقيماً غالباً- تحدث بسبب نقص الماء، تقول أنّ نقص الماء يسبّب العصبيّة وتجعل المرء يتحرّر من عقاله –أو ربّما عقله-.

تحبّ "ليلي" الجلوس على الكرسي الخشبي خارج العمارة في اللّيل لتستمع بوضوح إلى تلك النّقاشات.

أمّا بالنّسبة لصاحب الشقّة رقم سبعة فهو يسكن وحده، وإن كنت تعتقد أنّه يفتح نقاشات مع ضيف ما أو صديق أو كلبه فأنت مخطئ، فصديقنا هنا لديه سرّ. منذ سنتين قام بتأجير هذه الشّقة المشهورة بسمعتها السيّئة رغم تحذير سكان البناية له. إنّ كلّ من يسكنها سينتحر في النّهاية! خذ "رائدة" النّسويّة والتي سنسمّيها "إيلينا" كمثال. يشاع أنّه لم يبلغ الأسبوع ذيله حتّى رمت نفسها من النّافذة لتسقط ويتحطّم وجهها، لكن قبل ذلك سمعها السّكان تصرخ كالمجنونة.

"ليلي" تعرف السّر. تنظر إلى حنفيّة الماء وهي تلفظ قطراتها الأخيرة في هدوء، بعدها توجّه نظرها إلى زّجاجة الماء البارد أسفل الكرسيّ، ثمّ تنظر إلى الأعلى ويدها تعبث بيد بالدّمية وتسأل نفسها عن ما سيكون موضوع اليوم.

في تلك الشّقة يستيقظ صاحبها فزعاً، يتّجه إلى المغسل مهرولاً لتبريد نفسه، لقد كان على حافّة الهلاك بسبب العطش. يفتح الحنفية فيسمع صوت الهواء في الأنابيب يخفت شيئاً فشيئاً.

يلعن حظّه.

يطلّ من النّافذة آملاً أن تكون الحنفيّة في الخارج تعمل، لكنّها لا تعمل. تحمل الطفلة الزّجاجة وهي تنظر إليه.

بعد أن أحضرتها له وقام بشكرها، تتوجّه عائدة إلى مقعدها لتعبث مجدّداً بيد الدّمية وتنظر إلى نافذته.

إنّها المرآة، وهي تحمل انعكاس صاحب الشّقة، انعكاساً لكيان مستقلّ.

"أوه! مازلت حيّاً إذاً! دعني أحزر، إنّها الفتاة مجدداً صحيح؟ أنقذتك "سالي" مرّة أخرى!"

يجلس صاحب الشّقة على السّرير منهكاً، يضع يديه على وجهه ومعنويّاته في أعمق نقطة في مملكة هاديس[1]. كانت الغرفة لتكون مظلمة تماماً لولا ضوء القمر من النافذة.

يصفق فخذيه وينظر إلى المرآة في تحدّ: "ماذا؟ هل تريدني أن أموت؟ إذا لن يبقى لديك أحدٌ لتجادله."

نظر انعكاس المرآة إلى الرّجل مطوّلا ثمّ بدأ بالمشي يميناً وشمالاً وهو يسخر: "هل تلومني لأن الماء مقطوع في شقّتك البائسة؟"

- "لا يهم." الرّجل ملوّحاً ويجول بنظرات عشوائيّة باتّجاه النافذة.

- "نعم، لا يهمّ... أخبرني هل أكملت قصّتك؟ تلك التي تتكلّم عن...عن..." والكيان المنعكس يحدث صوتاً بإبهامه واصبعه الأوسط محاولاً التذكّر.

في داخله، يعرف الرّجل أنّ الكائن لا يهتم، هو فقط يحاول أنّ يجد سبباً للكلام، مع ذلك يجيبه دون اهتمام كافٍ هو الآخر: "تتكلّم القصّة عن شخص يحبّ فتاةً خياليّة، وأنا لم أكملها والفضل يرجع لك."

ينظر الانعكاس إلى الرّجل في إعجاب شديد ويقول: "أنت مدهش، هذا يجعلني أتساءل، وأنا جادّ تماماً! لماذا يحب بطلك فتاةً خيالية؟ أعني... كيف؟ إنّها خيالية!"

- "الحب شيء مجرّد، والأشياء المجرّدة ليست منطقيّة بالضّرورة، إنّها توجد فقط ولا تهتمّ أبداً في أي خانة تقع."

الانعكاس مفكّراً فيما قاله صاحب الشّقة: "لكنّ الحب ينتج لأنّ المحبوب لديه شخصيّة مستقلّة بناها بتجربته وهي تملأ الفراغ الذي يعانيه المحبّ صحيح؟"

- "صحيح..."

- "لكن المشكلة في قصّتك أنّ البطل يحبّ شخصاً ليس لديه شخصيّة مستقلّة، هل تعتبر هذا حباً من منظور ما اتّفقنا عليه آنفا؟"

- "أنا لا أرى أيّ مشكلة، يتم بناء الشّخصيّة الخيالية بناءاً على تجارب ومشاعر صاحبها. تخيّل الأمر هكذا: تلك الشّخصية، هي شخصيّة الكاتب بطريقة غير مباشر، وهنا يجعلني أرى الأمر منطقيّا أي أنّ شخصيّة الفتاة في القصّة مصدرها حقيقي. ما رأيك؟"

- "أنت الآن تقول أنّ البطل يحب شخصيّة الكاتب، أي أنت! وكأن البطل يحبّك أنت."

- "ممم... ليس... تماماً." صاحب الغرفة وكأنّه يدخل خيطاً في عين الإبرة.

ينظر الإنعكاس إلى الرّجل مثلما تنظر المرأة إلى زوجها وهي تنتظر إجابة منه عن سبب تأخّره في المجيء إلى المنزل: "إذاً!؟"

---

[1] مملكة الموتى في الأساطير الإغريقية

- "إذاً ماذا؟ شخصيّة الفتاة تنقسم إلى قسمين متكاملين، الخصائص الجسمانية والخصائص الأخرى غير الماديّة، مثل المشاعر. وما يجعل فتاتنا الخياليّة ذات شخصيّة مستقلّة هو شكلها ولا يمكنها أن تتميّز ذاتيا أكثر من ذلك. صحيح أن الكاتب يعطيها الشّطر الثاني من شخصيّته، لكنه يعطيها ما يتناسب مع شكلها."

- "ألا يدعم هذا ما قُلتُه قبلاً؟ شخصيّة الفتاة غير مستقلة بذاتها ولا أرى أنّ الشّكل سيغيّر من الأمر شيئاً. الشّكل قد يميّزك عن شيء آخر في عين من ينظر إليك، وقد يعطيك شخصيّة تناسب شكلك، وكل هذا من خياله أو افتراضه أنّ شكلك يوحي بشيء ما، وهذا بحد ذاته لا يجعل الشخصيّة مستقلّة بالضرورة."

- "ربّما..."

لم يبد الطرفان مقتنعان بنتيجة النّقاش، وقد سارع الإنعكاس إلى الإدلاء برأيه: "أنا أعتقد أنّنا وصلنا إلى نهاية مسدودة، ولا يمكننا -بوضوح- إلاّ الإعتراف بأنّنا لا نعرف. أظنّ انّ هذا يرجع للقارئ."

يرى صاحب الشّقة أنّ الأمر منطقي: "ما نراه في القصص والرّوايات والقصص المصوّرة أو الأفلام، أنّ القارئ أو المشاهد يتفاعل بشكل تام مع القصّة لأن شخصياتها فعّالة ومؤثّرة. لولا الشّخصيّات المبنيّة جيّداً لما كان هناك تفاعل، بل لم تكن هناك قصة أبداً! أرى أنّ هذا سبب كافٍ لأن نقول أنّ للشّخصية شخصيّة مستقلّة. أو على الأقل هذا ما نريد أن نقنع أنفسنا به."

يشير الإنعكاس باهتمام بالغ إلى نقطة ما: "وهذا يجعلنا نسأل أنفسنا، لماذا يحبّ القرّاء قراءة قصص من الخيال؟"

يرى صاحب الشّقة –والذي يبدو مهتمّاً بالنّقاش- أنّ السّبب بديهي: "الواقع فيه نقائص كثيرة، فأنت لا تستطيع الطّيران مثلاً لأنّك تريد ذلك. والخيال يعوّضنا عن هذا النّقص."

الإنعكاس يبدو مشوّشاً: "لا، لا، السّبب الذي طرحته سطحيّ جداً ويبدو خدّاعاً. النّقص ليس هو المشكلة الأساسية، بل التّحكم، أو ربما التّطلع إلى تجربة الإرادة الحرة. ربّما لا يعجبك شكلك، فتبتكر شخصيّة –ربّما لا إراديّا- لديها شكل تريده."

ينظر الرّجل إلى المرآة بسخرية: "أنت تكرر ما قلته أنا! انعدام الإرادة الحرّة يعدّ نقصاً في ما نسمّيه الواقع ولهذا السّبب ابتكرنا قصص الخيال."

- "نهاية مسدودة أخرى!؟"

- "لا اعتقد. ربّما نحن لا نفهم المشكلة بشكل جيّد، وربمّا فعلاً سبب وجود الخيال هو وببساطة افتقادنا لأشياء في الواقع."

يرى الإنعكاس أنّ هذا النقاش يتّجه نحو نهاية مسدودة فعلاً.

- "هل تعلم؟ ربّما لا جدوى من الكلام في الموضوع أصلاً. وعيك بذاتك هو ما سبّب المشكلة، لا يفترض بما نسمّيه الواقع أن يساير رغباتك، لأن الواقع، هو الواقع! هل تفهم قصدي؟"

من الواضح أنّ الرّجل يعرف تماماً إلى أي مقصد يتّجه الكيان في المرآة: "نعم، أقصد... ربّما، هذا منطقي بشكل غريب!"

يضيف الإنعكاس، والذي يبدو منغمساً تماما في فكرة، غارقاً تماماً: "وكأنّ الواقع أنبوب ماء لديه شكل عشوائيّ تماماً، ونحن مثل الماء المندفع نساير –عن غير إرادة- شكل الأنبوب. ربّما يعجبنا، وربّما لا يعجبنا. إن لم يعجبنا تصرّفنا بشكل غريزيّ وحاولنا الهروب منه، وهكذا، انبثق الخيال إلى الوجود!"

بدا الكائن في المرآة وكأنّه ينتظر تصفيقاً من جمهور بعيد، لكن بدلاً من ذلك تلقى سؤالاً من صاحب الغرفة: "ولماذا يحبّ البطل تلك الفتاة الخيالية؟"

- "أرى أنّ الفتاة لديها شيء يريده بطل القصّة، وهذا الشّيء ربّما لا يوجد في واقعه."

- "لكن هل ترى أن هذا منطقياً؟ أقصد كلاهما موجودان في مكانيين مختلفين تماما، أو أحدهما على الأقل." تساءل الرّجل.

لم يستطع الإنعكاس أن يخفي استغرابه: "لماذا يجب أن يكون منطقياً من الأساس؟ بل لماذا يجب أن يكون المنطق شيئاً من الواقع حتى نحتكم إليه؟ ربّما المنطق مجرّد خيال، وربّما هو مجرّد رؤية نسبية لما نسمّيه الواقع الذي يختلف أساساً من كائن لآخر. لذا نعم، أرى أن حبّ بطل القصّة لتلك الفتاة شيئاً منطقيّاً."

تدرك "ليلي" الصغيرة فجأة أنّ كلام الإنعكاس مريح. بدت أنّها ترى انّ الواقع سيكون مريحاً بقدر تآلفك مع خيالك. فإن أنت نظرت إلى النجوم من وجهة نظر رجل بائس، فستراها مجموعة من النّقاط، لكنّ الحالم يراها أشياء غير قابلة للوصف بالكلمات، بل أشياء تترجم بالشّعور وحاجتك إلى الشّعور. أنت تحب النّجوم لأنك تحتاج ذلك، فأنت شخص ضعيف وتريد أن تحتمي من الواقع العنيف. عندما تتخيّل فأنت لا تحسّ بالألم لأنّك لا تجد فرصة في التّفكير فيه.

- "إذاً..." يردف الكيان: "كيف تريد أن تكمل القصّة؟ هل سيرى البطل الفتاة الخيالية؟ أو ربّما سيجد وسيلة للتّواصل معها!"

- "لا أعتقد ذلك." وضع الرّجل ساقاً على ساق وقال: "أنت قلت ما معناه أنّ الشّخص يبحث عن الخيال أو شيئا ينقصه في الواقع فيجد عزاءه في الخيال، أو حتى هروباً من الواقع. تخيّل أن الفتاة أصبحت جزءاً من الواقع، سيفقد كلّ شيء معناه، وربمّا وصوله إليها وحصوله على ما يريده منها سيجعله يفقد هدفه، فهو حيّ بسببها، يريد أن يحلم بها ويضع احتمالات لا تحصى. لو أصبحت معه فجأة ماذا سيحلّ بكلّ أحلامه؟"

تنظر "ليلي" إلى الدّمية، تلك الدّمية صديقتها المقرّبة. لم يبد كلام صاحب الشّقة منطقياً، لأنّها تشعر بالرّاحة مع صديقتها، التي بين يديها وفي واقعها. لكن، هل حقّا تشارك هذه الدّمية واقع "ليلي" أو ربّما، هل تشاركها أحلامها؟

مشاركة الأحلام لا تعدّ هتكاً "لقانون الأحلام".

- "لكن تخيّل أنّ البطل يقابل فتاته، ألا يبدو الأمر مغرياً؟" هذا الإنعكاس ماكر!

- "بالتأكيد! هذا مغرٍ تماما! لكنّ هذا الإغراء الجميل سينتهي مع الوقت. إلاّ إن كان لدى البطل شيء خيالي يشاركه مع الفتاة... ربّما هذه هيّ! سيلتقي الشّابان بطريقة ما، بعدها سيتشاركان في بناء مملكتهما الخيالية، ولتكن عهداً بينهما."

- "أرى أنّ الفكرة جيّدة، هل ستكتبها الآن؟"

انطرح الرّجل فوق فراشه وأشار إلى الإنعكاس بأنّه سينام قليلاً.

بدأ الماء بالتّدفّق من الحنفيّة عند البناية. أخذت الفتاة القارورة لتملأها بالماء البارد ثمّ اغتنمت الفرصة لسقي الأزهار اللّيلية.

"ليلي" فتاة ذكيّة وحالمة. أصيبت بداء الأحلام أوّل مرّة عندما وجدت دميتها، وذلك في أحد اللّيالي الصّيفيّة وبعد انتحار صاحب الشّقة رقم سبعة. قرّر سكان العمارة نقل أثاث الرّجل، ودون أن يشعر أيّ أحد انزلقت الدّمية من بين الأثاث. عندما رأتها "ليلي" للمرّة الأولى أحسّتّ بأنّ الدمية قدرها.

رجعت الفتاة إلى الكرسيّ لتطرق في التّفكير. تعرف في قرارة نفسها أنّ هذا الكاتب صديقها المقرّب أيضاً. هو لا يعرف ذلك، فالمرآة الملعونة نسفت لبّه تماماً.

تعرف "ليلي" موقعها من اللّعبة وهي لا تتذمّر لأنّها في أعماق روحها تعرف أنّها تقوم بشيء واحد تريده هي فقط، ولا أحد يمليه عليها. "ليلي" المخلوقة الجميلة تقوم، وبحبّ، بمساندة صديقها الملعون. لا تهتم أبداً إن كانت تشاركه لعنته بدلاً من أيامه الجميلة.

نظرت الفتاة إلى السّماء التي بدأت تتلبّد بالغيوم، ما سبّب سخونة غير عاديّة في الجوّ. أخذت القارورة ثم نظرت إليها ووضعتها أسفل الكرسي ثمّ بدأت بالعبث بيد الدّمية والنظر إلى أعلى في ترقّب.

بينيلوبي

كلّ شيء يبدو مثاليّاً، السّماء مغلّفة بغيوم رماديّة، ولا تسمع زقزقة الطّيور. الجسر الذي أقف عليه قديم، ولا شكّ أنّه قد شهد ألاف حالات الإنتحار في الماضي، واليوم سيشهد حالة جديدة. سأقفز الآن، وسيرتطم جسمي في قاع النّهر الجاف، سأبذل كلّ جهدي لأجعل رأسي يصطدم بالأرض أوّلا، فإن أنا سحقت دماغي وجهازي العصبي أوّلا، فلن تكون هناك أيّ فرصة لأحسّ بأي ألم. سأقفز الآن...

- "هل تحاول الإنتحار؟"

- "والآن ماذا؟" كانت فتاة حلوة وصغيرة تقف بقربي وتمسك طرف معطفي: "ارحلي يا فتاة، لن تحبّي ما سترينه بعد لحظات، اذهبي وقومي بشيء جيّد!" ثمّ جهّزت نفسي لأقفز.

- "شيء جيّد؟ آها تذكّرت، كنت ذاهبة لتوّي إلى مخبئي السّري، هل تريد أن تذهب معي؟"

هل هذه الفتاة غبيّة أم ماذا؟ "ألا ترين أني أحاول الإنتحار هنا؟ هل تريدين الذّهاب معي في رحلة لا عودة منها؟! كلمة أخرى وسألقيك إلى الأسفل أوّلا!" ثمّ جهّزت نفسي لأقفز.

- "هل تريد القفز بسبب فتاة؟ لديّ عرائس في مخبئي السّري، تعال معي واختر ما تشاء." ثمّ ذهبت تجري. لم أدري ماذا أقول ووجدت نفسي ألاحقها ببصري. لماذا افترَضت أنّ ما أحاول القيام به الآن، من أجل فتاة؟ ولماذا تريد أن تعطيني أحد عرائسها؟ هل هي براءة الطّفولة؟ ربّما بدأت هذه الفتاة تعجبني.

توقفت عند الطّريق الفاصل بين الجسر والغابة ونادتني بأعلى صوتها: "أسرع يا غبي."

***

الغابة كثيفة، الطيور التي كانت صامتة منذ قليل أصبحت لا تكفّ عن الزّقزقة الآن. نظرت إلى الفتاة متسائلاً: "إذا عندك مخبأ سرّي هنا؟" نظرت إليّ هي الأخرى: "هذا ما قلته لك منذ قليل، والآن قلي، هل تريد أن تقتل نفسك من أجل فتاة؟"

- "لا أدري، الحياة أصبحت كئيبة منذ زمن ولم أعد أعلم."

- "والآن عدلت عن ذلك لأنّك تريد أحد عرائسي؟ تقول أمّي، أحيانا أنّ الرّجال يتغيّرون بسبب امرأة." فجأة توقفت الفتاة عن الكلام لتجدني عائداً أدراجي وبعيداً عنها بمتر أو اثنين.

نادتني بأعلى صوتها: "يبدو أنّ أمّي مخطئة بشأن هذا، ولكّنني لن أغفر لك جرأتك!"

درت إلى الإتّجاه المعاكس متّجهاً نحوها لعلّها تغفر لي: "والآن لنذهب إلى عروستي."

لمحتها بطرف عيني وقد كانت تريد أن تقول شيئا لكنّها تراجعت.

- "ذلك هو مخبئي السّريّ." مشيرة إلى شجرة كبيرة محفورة من الوسط، وقد كانت الفتاة سعيدة حقّاً، أستطيع رؤية هذا من عينيها.

لقد وقعت في حبّ هذا المخبأ من النّظرة الأولى، ومن غير تفكير قلت لها: "إذا هذا هو مخبؤنا السّري!"

- "لا، هذا مخبئي أنا، وحدي، وأنت هنا من أجل عروستك."

- "أوه! أنتِ دقيقة في كلامك إذا، هل تلمّحين إلى أنّك تريدين منّي أن أذهب مباشرة إلى الجسر وأقفز؟ ماذا سأفعل بعروس بدون بيت؟"

- "كفّ عن هذا يا مخادع."

- "مخادع؟ لماذا؟"

- "أنت تريد استغلالي. لكن سأسمح لك بالبقاء بشرط واحد، أريد منك أن تصبح صديقي."

- "موافق!"

بعدها قامت بالتّوجّه إلى غرفة أخرى، بقيت هناك للحظات ثمّ عادت وهي تحمل شيئا: "هذه إيميرالدا، عروسك." ثمّ سلّمتها إليّ. شعرت بسعادة دافئة لأنّها أعطتني شيئاً دون أن تنتظر مقابلاً. ماذا لو لم أقدم على محاولة الإنتحار، هل كنت سأقابلها؟

توجّهَت إلى الغرفة الأخرى مجدّداً: "انتظر حيث أنت، سأريك شيئا." بقيت في مكاني وقد رأيت أنها فرصة جيّدة أن أسالها عن إسمها: "نحن الآن أصدقاء ولا نعرف أسماء بعضنا البعض بعد، إسمي كرونو، وأنتِ؟" ومن داخل الغرفة الأخرى أجابتني: "بينيلوبي. والآن تعال إلى هنا."

دلفْتُ إلى الغرفة الأخرى، وأوّل ما شدّ انتباهي هي كرة صغيرة ملتصقة بالسّقف يوجد في وسطها ضوء يخرج من الثّقوب الموجودة على سطحها، فيصطدم مباشرة بالجدران المطليّة باللّون الأزرق الغامق.

- "ما رأيك يا صديقي؟" نظرَت إليّ.

- "إنّها تشبه سماءاً مرصّعة بالنّجوم." أجبْت.

نظرت إليّ في استياء وقالت: " أنا اعرف أنّها سماء مرصّعة بالنّجوم! إذا، قلّي، ما رأيك في إيميرالدا؟"

نظرت إلى الدّمية: "إنّها رائعة حقّاً، وقد سعدّت بها! أنا ممتنّ لك."

- "كفّ عن هذا! هل تعرف لماذا توجد غرفة كهذه هنا؟"

بصراحة لا أدري، وإن كنت أرجّح أنّها مثل كلّ الفتيات تحبّ الإستغراق في عالم الأحلام والقصور السّماويّة: "لا، لماذا توجد هذه الغرفة؟"

نظرت إليّ متسائلة: "أنت لا تذكر أيّ شيء، صحيح؟"

- "أذكر ماذا؟ وما علاقة ذكرياتي بالغرفة؟"

أمسكتني من يدي وجرّتني إلي الخارج مروراً بطريقنا التي جئنا منها عبر الغابة إلى الطريق المؤدّية إلى الجسر، ويا عجباه! إنّه اللّيل! وقد توقفت الطّيور عن الزّقزقة.

- "أنظر إلى السماء."

نظرت إلى السّماء فإذا بها داكنة تماما ولا توجد فيها نجوم.

"لهذا السّبب توجد تلك الغرفة." ثمّ شدّتني من يدي ورجعت بي إلى البيت السّريّ في الشّجرة وأنا في صدمة، وما إن رجع إليّ صوابي حتّى أدركت أنّني أجلس في غرفة النّجوم وهي مستلقية على بطنها وتقرأ كتابا، وهي تبدو منغمسة في القراءة.

- "بينيلوبي، ما الذي يحصل بالضّبط؟"

- "الجهل نعمة يا صديقي. والأفضل أن لا تسأل."

- "لكن ألا ترين أنّ عدم وجود نجوم في السّماء شيء غير طبيعي؟"

ودون أن تنظر إليّ: "لدينا نجوم في الغرفة." ثمّ نظرت إلى الجدران وكأنّها واقعة في الحبّ.

- "ألن تقلق والدتك عليك لأنّك تأخرتِ؟"

- "لا."

- "سبق وأن سألتني إن كنت لا أتذكّر، هل جئتُ إلى هنا من قبل؟"

- "لطالما كنت هنا، لكنّك لا تذكر أبداً."

وضعت يديّ على رأسي فربّما بهذه الطّريقة لن ينفجر. أردت أن أسال "بينيلوبي" سؤالاً آخر فالتقت عينانا مباشرة وقد بادرت بالكلام وهي خجلة: "أنا آسفة."

- "لماذا تتأسّفين؟ لقد أنقذتِ حياتي وأعطيتني أحد عرائسك."

- "هل تعلم؟ رغم أنّني أحبّ غرفة النّجوم، إلاّ أنّني أريد رؤيتها في السّماء."

- "لكن كيف اختفت النجوم؟ فأنا لا أذكر أبداً."

جلست على ركبتيها وهي تشعر بالأسف: "أمّا أنا فلم أرى النّجوم في حياتي، ولكن أعرف أنّها توجد في السّماء."

أنا لم أعد أفهم شيئاً.

- "أنت تحاول الإنتحار مراراً وتكراراً وتنجح مرّة فقط من مرّتين أمنعك فيها، لكنّك تعود دائماً من حيث جئت لتعاود الكرّة. أنا أحسّ بالذنب."

- "أنتِ تعلمين أني لا أفهم شيئاً مما يحصل، صحيح؟ وأفكارك المبعثرة تزيد الطيّن بلّة."

نظرت إليّ وكأنّها مغرمة: "آه! كم أنت غبيّ!"

- "هل لأنّني لا أذكر شيئاً فقد أصبحت غبيّا؟"

لقد بدت خيبة أملها واضحة، وقد بدأت تشرح: "أنت غبيّ لأنّك تعاود الكرّة، في كلّ مرّة تنجح فيها بالإنتحار فإنّني أجدك بعدها بلحظات فوق الجسر مجدّداً وقد نسيتني تماماً."

ثمّ أضافت: "اسمع، أنا لا أذكر كلّ شيء أيضاً، لكن أريد البقاء هنا، في هذا الخيط الرّفيع بين الموت والحياة. إنّها الطريقة الوحيدة التي أستطيع بها لقاء صديقي."

- "صديقك؟"

عندها انفجرت في استياء طفولي: "بليد!"

وبشكل مفاجئ، رسم وجهها ذكرى في رأسي! "بينيلوبي"!

- "إنّه يلفظ الماء! لقد استعاد وعيه!"

حمل المسعفون "كرونو" إلى عربة الإسعاف وهو يردد: "بينيلوبي..."

إِحْتِفَالُ لَيْلَةِ الْقُرنْفل



يحْتَفِلُ سُكَّان القَرْيَةِ سَنَوِيّاً بِمُنَاسَبَةٍ يُطْلقُ عَلَيهَا اسْمَ "احْتِفالُ لَيْلَةِ القُرنْفُل" وَهَذَا فِي لَيلَة الرَّابع عَشرَ مِن آخِر شَهْر مِنْ كل سنَة. يُقَامُ هَذا الإِحْتِفَال فِي وَادٍ صَغِير عِنْدَمَا تكُون الْأَرض مَلِيئَة بِبرَاعم الزُّهُور اليَابِسَة المُتَناثِرة هُنَا وَهُنَاك فِي مجْمُوعَاتٍ صَغِيرَة. هَذَا الإِحْتِفَال يُقَام عَلَى شَرَف الأَمِيرَاتِ السَّبعَة، وَفِي حَال لَمْ تَكُن تَعلَم تماماً عَنْ مَا أَتَحدَّث عَنْه، فَسَأَروي لَك الْقِصَّة.

تَقولُ الأَساطير أَنَّ الوَادِيَ أَحسَّ بِالْوَحْدَة فِي أَحَدِ الأَيَّام، وأَنَّ الأَشْجار سَقَطَت أَوْراقُها وَذَبلَتْ زُهورُها وَيبسَت الثِّمار وَالْبَتْلات وَتَنَاثَرَتْ عَلَى الأَرْض. بَقِيَ الأَمْر عَلَى حالِهِ إِلَى أَنْ كَبُرتْ بَنات المَلِك السَّبْع الصَّغِيرَات، وَقَدْ قَرَّرْن الخُروج مِن القَصْر واكْتِشاف أَراضِي المَمْلَكَة. انْغَمَسَت الفَتَيات فِي مُتْعَة الْإِسْتِكْشَاف، فَمَرَّةً تَسَابقن علَى قَطْف الفَاكهة وَتَسَلُّق الأَشْجار، وَمَرَّة تَبارين علَى صَيْد الضَفادِع فِي برِكِ الطِّين وَسَبْر أَعْماق المَغارات المُظْلِمَة، وَهَذَا رَغْم مَخاوِف الْوَصِيفَات الظَّاهِرَة، بِأَنَّ هَذَا النَّوْع مِن اللَّعِب لَا يَلِيق إِلَّا بِالقَرويّات الْبَسِيطَات. مَرَّ نِصْف اليَوْم أَوْ مُعْظَمه عِنْدَمَا اسْتَبَدَّ بِهِنّ التَّعَب، وَقَدْ قَرَّرْنَ أَنَّ شيَمَ المُغامَرَة تَسْتَدْعِي مِنْهُنَّ اِخْتيارَ مَكانٍ آخر لِلْإِسْتِرَاحَة غَيْر الأَمَاكِن اَلَّتِي اسْتَكْشِفنَهَا آنِفًا. مَشَينَ وَمَشَينَ وَهُنَّ يُغنِّين، وَشَمْسُ الأَصيلِ

البُرْتُقاليَّة تَرْسُمُ ظِلالَهُنَّ الطّوِيلة فَوْقَ الحُقُولِ الدّكِنة إلى أَنْ وَجَدْن طَرِيقًا ترابّيا. سَلْكَن ذَلِكَ الطَّريق المُتَّعرَج اَلَّذِي يُؤَدّي إِلَى الوَادِي، وَمَا إِنْ وَصَلْن، حَتَّى غَمْرْتِهُنّ رائِحَةَ القُرُنْفُلِ الشِّذْيَة. أَحَسَّتْ كُلُّ واحِدَة مِنْهُنّ أَنَّهَا قَد وَقَعَتْ فِي حُبِّ الوَادِي والجِْبال الزَّرقَاء البَعيدَة اَلَّتِي تَبْعَثُ نَسيمًا بَارِدًا. أَحَسَّتْ رُوح الوَادِي بِدَوْرِهَا بِالْحُبِّ والْأُلْفَة، وَغَمَرَت السَّعادَةُ الشَّجَر والحجَر. سَرَقَ النُّعاس أَنْفاسَ الأَميراتِ وَحَمل أَرْواحَهُنَّ اَلْمُبْتَهِجَة إِلَى عالَمِ الأَحْلام السَّعيدَة. وَقَدْ اغْتنمَ الوَادِي الفُرْصَة لِيَشْكو لَهُنَّ وَحْدَتَه وَكَيْفَ أَنَّهُ قَدْ أَمْسَى سَعِيدًا بِوُجودهِنّ. نَذَرَت الفَتَيات عَلَى أَنْفُسِهِنّ أَنْ لَا تمُرُ لَيْلَة إِلَّا وَقُمْن بِاللَّهْو وَالْإِحْتِفَال فِي هذَا الوَادِي. مَرَّت السَّنَوَات، وَالوَادِي سَعيدٌ بِرُفْقَة الأَميرات، إِلَى أَنْ جَاءَتْ لَيْلَة، وَالوَادِي على عادَتِه يعدُّ السَّاعَات ويَنْتَظِر لحَْظَة وُصولهُنّ بِشَوْق. لَكنّ الأَميرات، على غَير عَادَتِهِنّ غِبْنَ تِلْك اللَّيْلَة، واللَّيْلَةَ الأُخْرَى، وَالأُخْرَى اَلَّتِي بَعْدَهَا... عِنْدَهَا أَدْرَكَ الوَادِي أنه قَدْ بَات وَحِيدًا مُجَدَّدًا. فِي لَيْلَةِ الرّابع عَشَرَ مِنْ آخِرِ شَهْر مِن السّنَّة، فَرَشَ الأَرْض بِبَرَاعِم القُرُنْفُل وَفاءًا لهُنّ، وَهَكَذَا ظَلَّ يَفْعَل كُلَّ سنَة.